

AUC Library
DT 96.3 T3 A86X 1950 c. 1
AL - AYNI, B. AL-RAWD AL-ZAHIR FI SIRA
main
3 8534 00931370 5

الروض الزاهر
في سيرة الملك الظاهر
بالمعنى، محمود

99-6609
Part 7-12



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



RSITY

الجامع

الروض الزاهر

في سيرة الملك الظاهر

(ططر)

للعلامة محمود بن أحمد المعروف بالبدر العيني

المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

رحمه الله

١٢ بدر العيني، سمرقند

قـدم له

صاحب السباحة العلامة

الشيخ محمد زاهد الكوثري

الناشر

دار الانوار، للطبع والتجليد

١٩ نهضة شارع بيبرس بالحسناوي

سنة ١٣٧٠ هـ

٢١٩٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

٩٢٣

عيسى . ر

كلمة عن هذا الكتاب

الحمد لله ، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد رسول الله . وعلى آله وصحبه
وكل من تابع نور هدايه . وبعد فان الإمام العلامة المحدث الفقيه المؤرخ
الشيخ محمود بن أحمد المعروف بالبدر العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ عن ثلاث
وتسعين سنة من علماء مصر الأفاضل المكثرين من التأليف في العربية والفقه
والحديث والتاريخ وسائر العلوم ؛ فشرحه على الهداية من أمتع شروحيها ،
وشرحه على صحيح البخاري من أوسع ما كتب في شرح هذا الكتاب ،
وشرحه على معاني الآثار للطحاوي من أحسن ما ألف في أحاديث الأحكام ،
وتاريخه الكبير المسمى (عقد الجمان في تاريخ الزمان) من أفيد ما برز للوجود
في التاريخ العام من تراجم وأنباء ؛ وهو في أربعة وعشرين مجلداً ، وتاريخه
الأوسط في ثمانية مجلدات ، وتاريخه الصغير في مجلدين ، ومختصره لتاريخ
دمشق لابن عساكر في عشرة مجلدات ، وشواهد الكبرى لا يستغنى عنها
باحث في شواهد العربية ، وله فضل عظيم على تاريخ مصر حيث سجل أنباء
مصر في تاريخه الكبير ، وكتب آثاراً خاصة في سير بعض ملوكها الذين
عاصروهم كالظاهر برقوق والمؤيد شيخ والظاهر ططر والأشرف برسباي
فأنازكشيراً من نواحي حياتهم الشخصية والسياسية ، وأربعتهم من الجراكسة
فالسيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ) من محفوظات دار الكتب
المصرية ، والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (ططر) مما صورته قسم
الثقافة من الجامعة العربية في عداد الكتب المتخيرة التي صورها من شتى
الآقطار بما وجب الشكر الجزيل لهم باسم العلم ، والحديث عن الجركس طويل
الذيل ، وقد اتفقت كلمة علماء السلالات البشرية في العصور الحديثة على
أهم من أصفى نموذج للجنس الأبيض القوقاسي المعروف عند الجغرافيين

والنسابة ، وقد توسع الأستاذ جرجي زيدان الكاتب المشهور في بيان دائرة
شمول الجنس الأبيض القوقاسي وتنقلهم في القارات في كتابه الخاص بالسلالات
البشرية ، ومع ذلك كله لم يخل نسب (الجر كس) من خلاف ، ولذا قلت في (نبراس
المهتدى) ص (٨) عند التحدث عن نسبة (جر كسي) : « نسبة إلى (جر كس)
وهو من الجنس الأبيض القوقاسي ، ويعده الغربيون من الآريين ، وقد
أطال الكلام الجنرال عزت باشا في مؤلف خاص في التدليل على أن
الجر كس من بقايا الحيثيين ويرا هم ابن خادون والبدر العيني من شعوب
الترك ؛ يريدان أنهم من الجنس الأبيض المستترك ، لأنه تحقق عند الباحثين
أن الترك فريقان : فريق الترك من الجنس الأصفر المغولي ، وفريق الترك
المستترك من الجنس الأبيض ، كالعرب المستعربة إزاء العرب العاربة ، ففي
المجالس السلطانية الغورية وتاريخ ابن إياس ذكر أنهم من الغساسنة ، وفي
(قهر الوجوه العباسية بذكر نسب الجراكسة) أنهم من بني عامر من قریش
والله أعلم . على أن الناس سواسية لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى اه . . ونزوح
بقايا الغساسنة إلى جبل الجر كس بين بحري الخزر والأسود (بنطس) في
عهد سيدنا عمر رضي الله عنه مما نص عليه كثير من المؤرخين ، كما أن رحيل
نحو مائة ألف شخص من العرب في عهد الدولة الأموية إلى جبل القوقاس
وسكنهم هناك مما سجله أصحاب كتب الفتوح ، ولم يسكن الذين نزحوا إلى
بلاد العرب من القوقاس في العصر السابق بأكثر من الذين كانوا انتقلوا من
هنا إلى تلك الديار في العصور الأول ، والله حكمة بالغة في كل ما قضى وأبرم .
وقد ذكر الأستاذ حسام الدين الأماسي في تاريخ أماسيه (٢ - ٤٧) ما ترجمته :
(أن آتيغ خان ابن كير خان - من سلالة الحيثيين حكام الأناضول -
تزوج بالسيدة جيرغاس - أخت آييق خان ابن كون خان ابن اوغوز خان ،
وأولادهما هم الجراكسة ؛ فسموا الجر كس بتخفيف جيرغاس ، وسموا
أيضاً آتيغه وآديغه بالنسبة إلى آتيغ خان ، وقيل في تعريب آديغه : اذ كش) اه
وهذا التخريج في عهدة الأستاذ الاماسي . وفي دائرة المعارف للأستاذ فريد

وجدي (٣ - ٨١) : (الجركس : جيل من الناس يسكنون حوالى جبال القوقاس^(١) . . . وهم معدودون أكمل بنى آدم خلقه وأحسنهم وجوهاً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدّهم للشدائد مقاومة) ومن المعروف أن (تركان)^(٢) بمعنى شبيه الترك ، وهم الآريون الذين اندمجوا فى الترك الذين هم فطس الأنوف ، صغار العيون ، ووجوههم كاللجان المطرقة — كما ورد فى الحديث — بخلاف الآريين ، وقد نص الأستاذ زكى وليدى المغولى فى تاريخ آسيا الوسطى أن الآس والسغد والطخاريين والتراكمه والهياطلة من البيض الذين نزحوا من الغرب إلى شرق بحر الخزر فاندمجوا فى بنى قومه المغول والططر ، فيكون هؤلاء من البيض المستتركين لا من المغول والططر الذين كانوا احتسكروا اسم الترك فى ذلك الزمن والله أعلم . واسم (ططر) فى كتاب (الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ططر) اسم هذا الملك لا أنه من جلس الططر كما يظهر من السكتاب نفسه ، وكان من عادة الجراكسة كباقي الأقوام الشمالية تسمية الوليد باسم أول طارق عند ولادته فسمى ططر حيث طرق ططرى عند ولادته ، وكذلك (أيبك) — بفتحتين فضم وسكون — بمعنى القبيح الممثلة ، و (حبك) — بفتح فضم وسكون — بمعنى السكب الممثلة ونحوهما من الاعلام ، فالعز أيبك التركمانى لم يكن تركمانى الجلس بل كان تركمانياً ولأه فقط حيث كان من موالى آل رسول التراكمه ، وعده رومياً عند بعض مؤرخى الغرب سهو من كون سميّه عز الدين أيبك الامير روميا وهو لم يتول الملك وإنما كان أميراً فقط كما يظهر من ترجمته فى كتب الثقات ، فيكون تلقيب الدولة البحرية بالدولة التركمانية خطأ صراحاً جملة وتفصيلاً ، وقد قال صاحب قطف الزهور : إن أيبك أول ملوك الجراكسة وأن بيبرس^(٣)

(١) بمعنى جبل الآس وهو الحد الفاصل بين آسيا وأوربا (ز)

(٢) راجع تاريخ أبى الفداء عند ذكره للتركان (ز)

(٣) ولم يكن تأسيس بنيان الأزهر فى عهد العبيديين على التقوى بل ليكون دار دعوة إلى الباطنية والإلحاد حتى اتخذوه محلاً لاستئصال اللعنات على خيار

البندقدارى من أشهر ملوكهم ، ومثله فى تاريخ السكافى ، وذكر البدر العينى فى هذا الكتاب ان الجاشتكير ولاجين أيضاً منهم . وأما اهتمام قلاوون بالجرا كسة وتخصيصهم بالتعليم فى طباق القلعة فأمر معروف ، وهو نفسه من قبيلة برج من قبيلة وىخ الجركسية فاليها كانت نسبة المماليك البرجية لا إلى أبراج القلعة كما توهم ؛ لانها مكان الحراسة لا مكان الدراسة ، وقول برقوق فيما كتبه إلى تيمور فى صبح الاعشى (٧ - ٣١٣) : (وجنسنا جركس جنس ملوك الإسلام السالفين خدام الحرمين الشريفين) صريح فى أن قبله ملوكاً من الجركس . وإن لم يكن كون الملك جركسياً شرطاً فى توليه الملك قبل عهد برقوق . والإفاضة فى ذلك تخرجنا عن الايجاز المطلوب هنا ، وعد هؤلاء من الأتراك أو القبيجق لا ينسأفى كونهم من الجرا كسة لأن الترك يعمهم عند مؤرخى العرب ، والقبيجق مساكنتهم فى جبال وغياض وراء دربندشروان على ما ذكره ابن شيخ الربوة فى نخبة الدهر فيفيد القبيجقى معنى القوقاسى على هذا البيان على أن القبيج والقبيق من أسماء جبل القوقاس اختصاراً من القبيجق بحذف القاف الثانية مرة وحذف الجيم مرة أخرى ، وقال عمرو بن سراقبة الباهلى :

والحننا الجبال جبال قبيج وجاور دورهم منا ديار
كما ذكره ياقوت فى معجم البلدان عند ذكر باب الأبواب ، يريد جبال القوقاس ، وقال البيهقى :

مغلق بابه على جبل القبيج - ق إلى دارقى خلاط ومكس

الصحابة - رضى الله عنهم وقبيح مبغضهم - ثم ترك مهملاً لا تقام فيه الجمعة والجماعات قرناً كاملاً إلى أن جدد يبيرس وحمل رجاله الأبرار على المشاطرة فى إحيائه حتى أصبح منار الهدى ومعقل السنة والباعة الأوحى لرعاية مصر على العالم الإسلامى ، تتوالى عناية ملوك أهل الحق بتعده وإدراار الخيرات عليه فقام ينشر العلوم على أتم وجه على توالى القرون ودام فخرا خالداً إلى اليوم صانه الله عن الفتن وأسباب الردى وأدامه منارا للهدى (ز)

يريد أيضا جبل القوقاس . وأما تسمية صحراء الغز الواسعة الأرجاء في آسيا الوسطى باسم صحراء قوفشاخ فتسمية محدثة^(١) بعد استيلاء آل جنكيز على القوقاس وتلك المروج في شماليه إلى النهرين وولجا ودون بين البحرين الخزر والازق حيث أسسوا عاصمة ملكهم في ضفة نهر وولجا قريبا من مصبه في بحر الخزر بمرحلتين وهي المعروفة بسرأي باتو . وكان ما بين النهرين والبحرين إلى السفوح الشمالية من القوقاس يسمى بدشت قبجق قبل استيلاء المغول على تلك الجهات ، وقفجاق موضع في كاشغر وقوفشاخ في آسيا الوسطى لاصلة لهما بقبجق القوقاس كما تجد تفصيل ذلك في ترجمة تاريخ القوقاس للاستاذ المرحوم عبد الحميد غالب بك (ص ٢٦) والنصوص التاريخية المتعلقة بتلك المباحث ربما تنشر في مدة غير بعيدة بإذن الله تعالى خدمة للحقيقة والتاريخ ، والله سبحانه هو الموفق .

في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ هـ محمد زاهد الكوثري

(١) نص على حدوث تلك التسمية بعد استيلاء المغول البروفسور بارتولد في محاضراته عن آسيا الوسطى في جامعة الآستانة (ز)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أيد الإسلام بعدله الظاهر ، وأيد عبيده المسلمين بعبده
الظاهر . وأظهره على كل مارق وفاجر . ومكنه من كل مارد وغادر ،
وجمع شمل المؤمنين برأيه الباهر . من غير طعن بزج وضرب بياتر . وأنار
شعائر الدين بعلمه الزاهر . وشرائع الإسلام بعدله السائر : حتى أضاء نجم
الاتفاق في فلكه الدائر . وانحمد سور الشقاق في برجه الهائر . وعادت
أهل الطاعة بعطاء متواتر . وخابت أهل البغي من هذا الحظ الوافر .
واستبشر من كان ماريًا عن نفاق ثابر . وانكمد من في قلبه شيء من حسد
نائر . فسبحان من من على عباده من فضله المتكاثر . بهذا الملك الذي عينه
رحمة للبادي والحاضر . وزينه بحلم وعلم وعدل وفضل غائر . والصلاة على
نبية الزكي الطاهر . محمد المصطفى أشرف كل وارد وصادر . وعلى آله وصحبه
المستأثرين بكل فخر فاخر . ما بدر إلى الطاعات بادر .

أما بعد فإن عافي رحمة ربه الغني . أبا محمد محمود بن أحمد العيني عامله ربه
بلطفه الجلي والخفي . يقول : إن من جملة منن الله تعالى عليّ أني كنت رزقت
التمثيل بين يدي هذا الملك من قديم الزمان . والتجلي بصحبته المنيفة قبل هذا
الأوان . فرجائي من الله تعالى أن يكون ذلك سببًا لنصب ما خفض من
حالي . ورفع ما جزم بالي من كسر بالي . وجر ما يصلح شأن بلطفه . وإبدال
الهموم بالسرور بعطفه . إنه على ذلك قدير . وبالإجابة جدير .

ولما جرت العادة باتحاف الملك إلى من كان يصحبه وهو محتف في الحجاب .
وتقديمه إياه على من كان نائيًا عن الباب . سيما إذا ظهر استحقاقه لذلك .
وقامت بينته على ذلك . أردت تذكير ذلك بتقديم تحفة لحضرته السنية .
وخدمته البهية . محتوية على بعض سيرته الشريفة . وأحوال دولته المنيفة .
ولسكني أبديت ذلك بوجه عاجل . يعقبه أبسط من ذلك في الآجل . على

قدر مساعدة الوقت والامكان . لأن ذلك يقتضى أمدا بعيدا من الزمان .
ولكنه تلويح يغنى عن التصريح . وتلميح يستغنى به عن التوضيح . وفي هذا
الوقت رأيت هذا المقدار عزمًا عليا . وحثا واجبا مقضيا . وكيف وهو
ملك إن شاء الله يفتخر به ملوك الآفاق . ويعلو عليهم علو الشمس على
النيرات في الاشراق . وينقاد اليه كل مطيع وعاصي . وكل دان وقاصي .
ويرتفع برايات عدله منار الدين . وينتشر بأعلام فضله آيات الحق المبين .
ويتنور بأحكامه الزاهرة أغصان الحق والانصاف . وينحمد بجلالة هيئته
نار الظلم والاعتساف . ويتفرق بعظمة سطوته جموع أهل الفساد من كل
الأصناف . لازال مدى الدهر مستجرا اقباله . ولم يزل يتزايد طول الأيام
كماله . ورفع الله قدره في الأفلاك . وعظم مجده بين الأملاك .

وترجمتها بالروض الزاهر . في سيرة الملك الظاهر . وجعلتها على عشرة
فصول . الأول في جنسه وأصله . والثاني في اسمه وما يدل عليه حروفه .
الثالث في كنيته وما يدل عليه ومن تسمى به من الملوك . الرابع في لقبه ومن
تلقب به من الملوك . الخامس في كونه عاشر السلاطين الترك الافاقيين وما فيه
من البشارة له . السادس في استحقاقه السلطنة وتعيينه لها . السابع في أوصافه
الجميلة وأخلاقه الحميدة . الثامن في ما ينبغي له أن يفعل وما لا يفعل . التاسع
فيمن يوليه على خواص نفسه وعلى الرعية . العاشر في تاريخ سلطنته ومادل
عليه تاريخه . فما أنا أشرع في بيانه . وعلى الله أتكل في شأنه .

الفصل الأول

في جنسه وأصله :

إعلم أن الله تعالى خلق ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا عالم منها ، والعرمان
في الخراب كفسطاط في البحر ، وميز من بينهم أربع طوائف وهم الملائكة
والانس والجن والشياطين ثم جعل هذه الثلاثة : عشرة أجزاء ، تسعة
الشياطين ، وواحد الانس والجن ، ثم جعل هذين الصنفين عشرة أجزاء ،

تسعة الجن وواحد الانس ، فالملائكة من النور ، والجن والشیاطین من النار ، والانس من التراب .

والانس کلهم اولاد آدم علیه السلام ولكن انقرضوا کلهم بطوفان نوح علیه السلام ولم ینج منه إلا أصحاب السفينة ، وهم ثمانون نفسا علی قول الجمهور . ثم لما استقرت بهم علی الجودی خرجوا منها وبنوا قرية سموها قرية الثمانین فی أرض الجزيرة .

وعاش نوح علیه السلام بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة ، وجميع عمره ألف وسبع مائة سنة وثمانون سنة . ثم هلكوا ولم یبق منهم إلا نوح وأولاده الثلاثة وهم سام وحام ویافث وأزواجهم ولما حضرت نوحا الوفاة أوصی ابنه سام وجعله ولی عهده وقسم الأرض بین أولاده الثلاثة . فجعل لسام وسط الأرض وفيها الحجاز واليمن وبيت المقدس ومصر والشام ، وفيها النيل والفرات ودجلة وسیحان وجیحان وجعل لحام بلاد المغرب . وجعل لیافث الجنوب وبلاد المشرق . وجميع الامم المتفرعة من هؤلاء الثلاثة ویافث أكبرهم وحام أصغرهم وسام أوسطهم .

فولد لسام خمسة من الاولاد وهم ارفخشذ ولاوذ وارم وآشور وعیلام وولد لارفخشذ شاخ ولساخ عابر ومن عابر العبرانيون . وولد له ولدان فالغ ويقطن ، فمن فالغ ابراهيم الخلیل علیه السلام ، ومنه اسحق واسماعيل عليهما السلام ، ومن اسحق یعقوب وعیصو ، فمن یعقوب بنو اسرائيل ، ومن عیصو الروم ، ومن اسمعیل العرب المستعربة ، ومن ذریته نبینا محمد صلی الله علیه وسلم ، وولد لیمقطن ثلاثة عشر ولدا ومنهم جرهم والهند والسند وسبأ وهم أهل اليمن . وولد للاوذ أربعة اولاد وهم طسم وعملیق وفارس وجرجان ومن العملیق السکنعانیون جبابة الشام وفراعنة مصر ، وولد لأرم عوض ، ومن ولده عاد ، ومن ولد ارم کافر ومن ولده ثمود وجديس وأمیم وهم العرب العاربة ، وولد لآشور ایران ونبیط وجرموق وباسل فمن ایران الفرس والکرد والخوز ومن نبیط النبط والسریران ، ومن جرموق الجرامرة ومن باسل الدیلم والچیل .

وأما حام فولد له مصر ايم وكشعان وكوش وقوط ، فولد لمصر ايم فلسطين
ومن بنيه جالوت وأهل فلسطين ، وولد للسكنعان أولاد شتى منهم البربر
وأهل أفريقية وولد لسكوش الحبشة والنوبة وسائر أنواع السودان .

وأما يافث فولد له سبعة أولاد وهم كומר وياوان وماذاي وماغوغ
وطوبال وماشخ وطيراسي . ومن كומר الترك وهم في الاصل عشرون
قبيلة وكل قبيلة منها بطون لا يحصون وهي بجنك وقفجاق^(١) ، وأغز ، ويماك
وبشقرت ، وبسمل ، وقاي ، ويباقو ، وططر ، وقرقر^(٢) وجكل ، وتخسي ،
ويغما ، واغراق ، وجرق ، وجمل ، واينغر ، وتنكت . وخطاي (وهي الصين)
وتوغاج . وتسمى ماصين^(٣)

ومن قبيلة أغز تنفرع التركمان وهم اثنان وعشرون بطنا وأعظمهم قنق
ومنهم السلاطين والملوك ومنهم بنو سلجوق بن دقاق ومن ذريتهم الملوك
الذين ملكوا بلاد الروم وكان عبور السلجوقية بلاد الاسلام في شهر ربيع
الاول من سنة خمس وستين وأربع مائة .

وأما التركمان الذين يسكنون ببلاد الروم والشام فأصلهم من التركمان الذين
جاءوا مع السلطان آلب أرسلان السلجوقي فسكنوا البلاد رحالة بيوت
خركاوات ؛ فطائفة سكنت ببلاد ديار بكر ومنهم تركمان قرا محمد وولده
قرا يوسف وبنو يحمر وبنو يغمر ومنهم طائفة سكنت ببلاد الروم على
سواحل البحر الملح فمنهم تركمان ورسخ وأولاد حميدو وسليمان باشاه ومنهم
أولاد قرمان وأصلهم من تركمان سكنوا ارمناك من بلاد لارنده ولسكن
موضع جدتهم الاعلى (نوره صوفي) من موضع يقال له قامش .

(١) وقبجق القوقاس غير قوشاخ آسيا الوسطى فلتر اجمع ترجمة تاريخ القوقاس
(ص ٦٦) في تحقيق ذلك . والمؤلف ذكر القبائل هنا بنوع من التداخل من
غير تمييز بين الجنس المغولي وغيره فالامر يحتاج إلى مزيد بحث في موضعه (ز)
(٢) قيل أنهم من الجنس الابيض الذي رحل من الغرب إلى الشرق (ز)
(٣) راجع ديوان لغات الترك (١-٢٧) (ز)

ومن تركمان الروم أصل عثمان جق وولده أرخان وولده مراد بك وولده أبو يزيد وولده كرشيدي يدعى سلطان محمد وأصلهم من موضع يقال له سكنت من بلاد أجات ومنهم طائفة سكنت ببلاد الشام والأرمن وهم طائفتان إحداهما يسمى أوج أق . والآخرى تسمى بزاق : ومنهم أولاد دلغادر ومن جنس الترك الجراكسة وأصلهم أربع قبائل وهم تركس^(١) ويقال سر كس ، وأركس^(٢) والآص^(٣) وكسا^(٤) وتتفرع منهم بطون كثيرة منهم أبازا وكبكنا وجنا وبوله وبزدغو وأسغو وبصجقا وأغجيس وسكاغو وجغا

(١) وفي الأصل (جر كس) باتصال النقطتين برأس الراء فيظن أنه (جر كس) مع أن الصواب (تركس) باعتبار أن هذه القبيلة يسكنون في حوض نهر (ترك) في الشمال الشرقي من جبل القوقاس ومن المعلوم أن الشيء لا يقسم إلى نفسه وإلى غيره ولا يتصور أن يكون المقسم قسما من نفسه (ز)

(٢) بالراء والسين اسم قبيلة تسكن في ضفة نهر (أركسيس) الشمالية إلى أواسط جبل القوقاس من (دربند) إلى قريب من (داريال) وهذا النهر هو النهر المعروف اليوم باسم (آراس) وهو النهر المذكور في كتب تقويم البلدان للعرب باسم نهر (الرس) وقد يصحف إلى (أذكش) ويخرج إلى أنه بمعنى أذيعه أو أذيعه أو آذكي بمعنى لزكي . ووقع في الأصل (أذكش) والصواب ما سبق . فتكون هذه القبيلة سكينة الجنوب الشرقي من جبل القوقاس (ز)

(٣) والآص هم الآس الذين يقال لهم (الآن) و (اللان) عند العرب وهذه القبيلة سكينة الجنوب الغربي من الجبل من داريال إلى البحر الأسود من آستين وإبخاس وبعض الأوار وإيريا الذين يسمون الكرج أيضا باعتبار سكنتهم إلى نهر الكر (ز)

(٤) وكسا هم سكينة الشمال الغربي من الجبل المذكور إلى قوبان وبحر الآزق وهؤلاء الأربعة أخوة في النسب احتضنهم الجبل المذكور بجوانبه الأربعة فسماهم الفرس (جهار كس) ويخفف إلى (جاركس) و (جر كس) راجع تحقيق هذا التلقيب في ترجمة تاريخ القوقاس للاستاذ عبد الحميد بك غالب (ص ٨٠) وهناك بسط القول في تلك القبائل الأربع (ز)

وبشريا وابخاس وأزغا وبغزو وبخ ووقاقا ويميقا وبدس وقوص وارس
وصندي وصمدقا وبسني وقصبغا وخونية وادخان وكرموك .
وأصل مولانا السلطان ثبت الله قواعده دولته من الجرا كسة المستأمنين
من دولة هرقل . فإذا كان كذلك فلا شك يكون أصله منتزعا إلى العرب وهو
عرب غسان .

ويبان ذلك أنه قد زعم بعض الناس أن أصل الجركس من العرب
وليس كذلك . وإنما أصل هذا الكلام أن جبلة بن الأيهم لما ارتد عن
الاسلام بعد أن قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأسلم صار إلى
هرقل صاحب الروم ولما هرب هرقل من أنطاكية حين فتحها الصحابة رضي
الله عنهم في سنة سبع عشرة من الهجرة وركب البحر وعادى إلى بلاد
قسطنطينية هرب معه جبلة ومعه خمس مائة رجل من قومه من عرب غسان
فتنصروا كلهم وأقاموا عندهم إلى أن انقرض ملك القياصرة ثم تحيزوا
إلى جبال الجرا كسة وبلادهم وهي ما بين بحر طبرستان وبحر بنطس الذي
يحده خليج قسطنطينية فاختلطوا بالجرا كسة فتزوجوا منهم نساء وتزوجت
الجرا كسة منهم نساء فتوالدوا وتناسلوا وكثرت ذرايرهم واختلط بعضهم
ببعض ودخلت أنساب بعضهم في بعض حتى ليزعم كثير من الجرا كسة
أن أصلهم من نسب عرب غسان .

ومن ذلك يوجد في الجرا كسة غالبا خصال من خصال العرب منها
الشجاعة الظاهرة والفروسية الباهرة ، ومنها الصدمة الأولى في الحروب .
ومنها الغيرة العظيمة على الحرم والنساء . ومنها حسن القيام بحق الضيف
والضيف عندهم أعز الناس إليهم ومنها أن المستجير بأحدهم لا يضام ولا يناله
مكروه ولو كان عليه دم أو طلب ولا يقدر أحد أن يأخذه ولو كان صاحب
شوكة . ومنها أن عندهم حدة وزعارة في أخلاقهم . ومنها أنهم يغضبون
سريعا ومنها أن العداوة إذا وقعت بين الطائفتين لم يزالوا على ذلك من قدر
منهما على الأخرى يفنى جميعهم فتستمر العداوة بين أولادهم وأولاد أولادهم
وكل ذلك من خصال العرب .

ومولانا السلطان خلد الله ملكه سادس السلاطين الجرا كسة الذين
ملكوا الديار المصرية والشامية والحجازية : فأولهم السلطان الملك الظاهر
بيبرس البندقدارى فى قول (١) وفى قول هو من آص والثانى السلطان الملك
المظفر بيبرس (٢) الجاشنكير والثالث السلطان الملك المنصور لاجين (٣) والرابع

(١) فيكون جر كسيا من غير تعيين قبيلته من بين القبائل الاربع للجرا كسة
التي ذكرها المصنف وفى القول الآخر يسكون من الآص خاصة من تلك الاربع
وفى تاريخ ابن ايبك أنه من فنخذ (برلى) وبيبرس هذا أعظم ملوك الاسلام
بعد صلاح الدين الايوبى فى الذب عن الاسلام حيث صد المغول وأهل الصليب
فى آن واحد على ما هو مشروح فى التاريخ حتى قال ابن فضل الله العمري : لولاه
لكان الاسلام أثرا بعد عين رحمه الله . ولو هنا غلو واسراف فى القول (ز)
(٢) جر كسى أيضا أثنى عليه السيوطى كل الثناء فى حسن المحاضرة لسكرته كان
سعيد الحظ فى عهد امارته بخلاف عهد سلطنته لاستفحال الفتن اذ ذاك . وهو
الذى جدد جامع الحاكم (ز)

(٣) هو وأقوش الأفرم كانا ابني خالة وكانا من الجرا كسة كافي تذكرة الصفدى
راجع ترجمة أقوش من المنهل الصافى وهو الذى أنقذ طرابلس الشام من أيدي
أهل الصليب أيام امرته حتى قال الشهاب محمود فيه :

خير فتح جرت به الاقلام ماغدا للحسام فيه انتقام

يريد حسام الدين لاجين - الى أن قال :

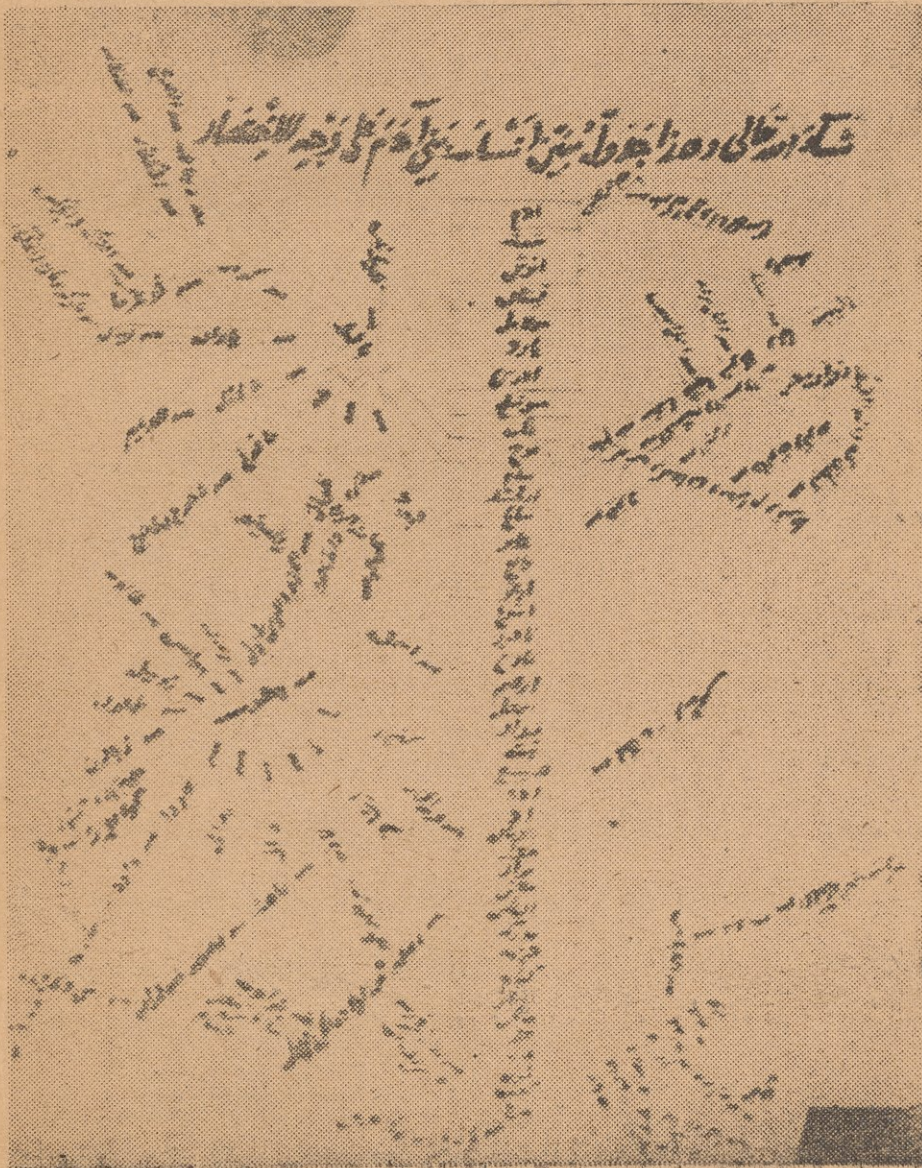
فى ليوث لها اذا زلت الالة دام فى حومة الوغى إقدام

من بنى يافت اذا علمت الحر ب اصطلوها وان غلاموت ساموا

يبذلون النفوس لا عن هوان بل كذا يبذل الكريم الكرام

الى آخر تلك القصيدة العصماء المسجلة فى ذيل القطب اليونى على مرآة الزمان
ثم تولى الملك واستشهد وهو قائم يصلى رحمه الله وعده روميا خرافة ومن
رجال الغرب من يحاول أن يجعل بعض عطاء الملوك من الدولتين البحرية
والبرجية من الفرنجة عن محض هوى بدون أى دليل وقد رد عليهم الاستاذ
الاثرى السيد حسن قاسم أحسن رد بمناسبة ترجمة الاستاذ أبى الحديد فى مجلة
النقافة بعض فقرات من بعض رحلات هؤلاء المليئة بالاساطير (ز)

السلطان الملك الظاهر برقوق . والخامس السلطان الملك المؤيد والسادس مولانا السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر خلد الله ملكه . واعلم أنه يطلق على جرا كسة هذا الزمان أنهم من العرب لأن اختلاط أنسابهم مع أنساب العرب من مدة تزيد عن ثمان مائة سنة ، وأما من كانوا فيما قبل هذه المدة فانهم من الترك المحض بلا خلاف . ولا شك أنه يطلق على مولانا السلطان الملك الظاهر خلد الله ملكه أنه من العرب بهذا الاعتبار فيكون استحقاقه لهذا المنصب الشريف من هذا الوجه أيضا على ما ندينه ان شاء الله تعالى . وهذا جدول يبين أنساب بني آدم على وجه الاختصار :



الفصل الثاني

في اسمه وما يدل عليه حروفه

اعلم أن اسم مولانا السلطان خلد الله ملكه ثلاثة أحرف ؛ وهي طاء آن وراء مهملات وفيه لغتان أخريان إحداهما تتر بتائين موضع الطائين ، والاخرى تتار بزيادة ألف . فلنتكلم في هذه الوجوه الثلاثة بما يقتضيه القواعد الحرفية وغيرها . أما الطاء والالف فهما من الحروف النارية ، وأما التاء فهو من الحروف الهوائية وأما الراء فهو من الحروف الترابية .

والسر في ذلك أن الطاء والالف يدلان على أن كل من عاداه أو عصى عليه أو خرج من طاعته أو أضمر له سوءا أو نوى له مكرأ وخديعة فإن نارهما تحرقه لقوتهما مع سعد الملك حتى يتلاشى أمره ويتفرق شمله ولا يبقى له ولمن يلوذ به أثر ولا خبر كالنار الحسية إذا وقعت في أرض تأكل ما فيها كله وأما التاء فإنه يدل على أن من نصح له وأخلص في طاعته ظاهرا وباطنا ينصب عليه نفحات نسيمه الوسيم وتربيه نسيمات بره العظيم كالهواء الحسي فإنه حياة كل ذي روح وبقاء كل حيوان .

وأما الراء فإنه يدل على عمارته بلاد رعيته وعلى شمول عدله كالتراب الحسي فإنه يخرج منه أرزاق جميع الحيوانات ويستتر به من كان من الاموات وأما السر في تكرر الحرفين في اسمه فإنه يدل على امتداد قوته في سعده وعدم التخلل في اثناؤه من شيء منهك أو مغير وقد قلنا : إن الطاء حرف ناري وله قوة زائدة على بقية العناصر ولا سيما النار إذا تزايدت من جنسها وتكررت ازدادت قوة وزيادة سعادة صاحبه تقارن هذين الحرفين من غير تخلل حرف آخر بينهما ألا يرى أن الملك الناصر الكبير لما تكرر الحرف في اسمه مع فاصل بين الحرفين حصل التغير لذلك . وكذلك الملك الظاهر برقوق .

فالشكر لله تعالى أن الحرف المكرر الذي في اسم مولانا السلطان خلد الله

ملاسه وقع فيه التقارن . ولحرف الراء أيضا أسرار عجيبة ، وقد قال علماء
الحرف ان الراء للقوة المظهرة للحركة التي بها تمام الفعل وهو جوهر الزمان
وعنه تم الفعل ، ودليل ذلك مانص الله تعالى في قوله (الر كتاب أحكمت
آياته ثم فصلت) والراء للتفصيل وبالحركة انفصل كل شيء ولولا هو لكانت
الأشياء كلها شيئا واحدا ونقطة واحدة ، وبه فصلت الأشياء وظهرت أمثلة
في العالم وكانت مدة ذلك هي المدة التي خلق الله فيها وهي الستة الأيام التي
ذكرها في كتابه لذلك تكررت الراء في ستة مواضع لتكون دليلا على تلك
الأيام الستة وهي مدة ظهور ما في اللوح من أمثلة الخلق ، ولذلك كنى تبارك
وتعالى عن الستة الأيام في أوائل السور التي فيها الراء فقال في سورة هود
بعد آيات يسيرة (وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان
عرشه على الماء) فلفظة هو كناية عن ذاته تعالى ، والعرش كناية عن اللام
وهو اللوح ، والراء كناية عن الأيام لأن الراء التي في يونس كناية عن اليوم
الاول والتي في هود كناية عن اليوم الثاني والراء الثالثة في يوسف والرابعة
في الرعد والخامسة في ابراهيم والسادسة في الحجر ، فهذه ستة أحرف على
ستة أيام فلذلك انقطعت الحركة والمدة في هذا العالم على ستة أيام واليوم
السابع يوم السكون والتمام . ولهذه العلة سبقت فيه اليهود ، وعمر الدنيا أيضا
سبعة أيام ، ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وكذلك وقعت الطاء مكررة في أوائل بعض السور وهي (طه) و (طسم)
تلك آيات الكتاب المبين) و (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) و (طسم
تلك آيات الكتاب المبين) وفيه أسرار عجيبة ليس هذا موضعها ، والطاء
في الحساب تسعة في الصغير والكبير . والراء في الصغير ثمانية وفي الكبير
مائتان فالباقي بعد الاسقاط خمسة فاذا أضيف اليها ما تبقى من اسم أمه
حواء يسكون ثمانية ، فتكون نجمه ثامن البروج وهو العقرب ، وطالعه المريخ
وهو برج ثابت ليلي مائي . وعلاماته تدل على أن له الوجه الثاني وهو الشمس
تدل على ملك عظيم وجاه قوى مع ثبات وطول مدة .

وله من الحدود خمسة :

الاول بيت حياته يخاف عليه في ثمان سنين فان جاوزها ففي ستة وعشرين فان جاوزها ففي ما بعد التسعين.

الثاني بيت له يكون في أول عمره قليل المال ثم ينقلب عليه الزمان إلى أن يصير له أموال يعجز عن ضبطها ، ويرزق ذلك من غير تعب ولا سعي ولا هو من قبل والديه .

الثالث بيت الاخوة والاصدقاء قليل الحظ منهم ويفارقهم ويفارق البيت الذي ولد فيه ويدفن أباه قبل أمه

والرابع بيت الاولاد والنساء يرى من الاولاد كل ما يحب ، ولا يموت حتى يرى ولد ولده ويتزوج كثيراً وربما يرث من بعضهم شيئاً كثيراً .

الخامس بيت أحواله في ذاته يكون ديناً محترزاً عن الحرام ، يكون له يد من العلوم ومن الكتابة ويكون متواضعاً حليماً شفوفاً حلواً الكلام حسن المنطق عالماً بالالسن سريع الرضى سريع الغضب حسن الرجوع إذا هم في شيء فعله وربما يعمل برأى نفسه . ومشاورته أهل العلم والمعرفة والتجربة خير له ويميل إلى بعض الطرب والشعر وما يشبه ذلك ومع هذا ميله إلى العلوم وإلى ما فيه رضى الله تعالى أكثر . ويكون مظفراً بأعادييه ولا يؤثر فيه السحر . وهو محسود في ذاته ، وأكثر حساده من جلسائه . وفي رأسه أوجبهته أثر جراحة ، وكذا في فخذيه أو ساقه . وعلى صدره خال فاذا أصابه غم أو هم فليضع يده عليه ويدعو ربه فان الله تعالى يفرج عنه . وأكثر أوجاعه من حقويه وانثييه ورأسه .

قال ارسططاليس يوافق هذا قرص البنفسج وجوارش القسط والاطر فيل وشراب العسل ، والحجامة خير له من الفصد . وإذا أراد مباشرة النساء فليقلل الطعام والشراب البارد . ويوافق من الاصباغ السكجلي ، ومن الفصوص الياقوت بألوانه ، ومن الدواب الاشهب والاشقر ، ومن النساء والاصحاب من كان نجمه العقرب والحوث والسرطان ، ويحذر من كان نجمه

الميزان والدلو والجوزاء .

ويوافق من الشهور العربية شعبان ، ومن شهور الفرس أيار ومن شهور الروم تشرين الثاني ومن الأيام الثلاثة يبارك الله له فيه كل ما يريد ، وليحذر من يوم الأربعاء . فهذا الذي ذكرنا هو الاصل .

وأما عند بعض أهل الحساب فلا يحسب للملوك والسلاطين من الطوالع إلا برج الأسد وطالع الشمس وهو برج عظيم وهو نجم داود عليه السلام ونجم على بن أبي طالب رضي الله عنه وهو برج ثابت لا هبوط فيه ، برج ذكر نهاري شرقي وصاحبه فيه خير وسعة .

ومن نكات هذا الاسم أن حروفه من الحروف المفتحة ، وبهذا السر صادف اسمه كنيته وهو أبو الفتح . ومنها أن الطاء موجود في اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاسم المذكور في الانجيل وهو (خير طاء) وفي اسم لوط النبي عليه السلام . وفي اسم طالوت وهو نبي على رأى البعض ولا شك في كونه ملكا عظيما بنص القرآن وتفسير (خير طاء) بالعربية المختار وقيل السيد .

وأما الرأ ففى اسم خضر عليه السلام ، فان قلت قد يوجد مثل ذلك في سائر أسماء الناس فما فائدة هذا ؟ قلت : الكلام في اسم صاحب منزلة كبيرة مثل خليفة أو سلطان أو ملك كبير فان اتفاق الحروف حينئذ له تأثير عظيم وليس ذلك في أسماء آحاد الناس على ما تقرر في موضعه .

ومن أسرار هذا الاسم أن صاحبه إذا أراد أن يدعو الله تعالى عند طلب حاجة من جلب منفعة أو دفع مضرة ينبغي أن يكثّر في دعائه يا رحمن يا رحيم يا رؤوف .

الفصل الثالث

في كنيته وما تدل عليه ومن تسمى به من الملوك

اعلم أن كنية مولانا السلطان خلد الله ملكه أبو الفتح . وهى كل اسم يصدر بأب أو أم . ويستعملها العرب للتعظيم والتوقير ، وربما تصير كالعلم

بالغلبة ، والملوك يختارونها تفاؤلا بمعناها ولا شك أن وضع الكنى أيضا إلهام من الله تعالى كالأسماء الاعلام والالقباب يظهر سرها في صاحبها ، وفيه بشارة لمولانا السلطان ثبت الله قواعده دولته أن الفتح والنصر لا يفارقانه فان شاء الله تعالى يفتح له البلاد التي ليست في ملكه ويطيع له العباد الذين ليسوا تحت امره ولا يزال سعيدا في حركاته وسكناته ، منصورا في جميع ما يتفق له من أموره .

والفتح مقرون بالنصر قال الله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) وقد وجدنا الملوك الذين تمكنوا بأبى الفتح فتحت لهم فتوحات .

منهم الملك الظاهر بيسرس فان كنيته أبو الفتح ، حصلت في أيامه الفتوحات الكثيرة ، منها قيسارية الشام وارسوف ويافا والثقيف وانطاكية وبغراس وطبرية والقصير وحصن الاكراد وحصن عكار وحصن عكا وصفد وغير ذلك ، قال المؤرخون أول فتوحاته قيسارية الشام بالسواحل وآخر فتوحاته قيسارية الروم . وأما عدة فتوحاته فكانت تزيد على أربعين حصنا ومن جملة فتوحاته أنه استولى على ابلستين وقتل توقو وتداوله ، وفتح بلاد النوبة بأكملها ، وله في الاسلام آثار عجيبة .

ومولانا السلطان خلد الله ملكه تلقب بألقبه وتكنى بكنيته ، فخر جو من الله عز وجل أن يفتح له ما فتح له إنه على ذلك قدير وبالاجابة جدير . ومن تكنى بهذه الكنية المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر والشام وبلاد الشرق والحجاز واليمن وكان ملكا مسعودا في حركاته مثل اسمه .

ومن تكنى به السلطان برهان الدين القاضي صاحب سيواس وغيرها . ومنهم أبو الفتح وقيل أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد صاحب افريقية من جهة المعز العبيدي .

ومنهم أبو الفتح غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملقب بالملك الظاهر صاحب حلب ، كان ملكا مهيبا حازما متيقظا ، كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك على الهمة حسن التدبير والسياسة باسط

العدل محباً للعلماء مجيزاً للشعراء ، فخرجوا من الله عز وجل أن يفوق مولانا
السلطان خلد الله ملكه عليه .

ومنهم أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن مكائيل بن
سلاجوق بن دقاق ، كان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالملك العادل
وكان منصوراً في الحروب .

ومنهم أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب
الملقب بالملك الأشرف ، وكان سلطاناً كريماً حليماً واسع الصدر كريم
الأخلاق كثير العطاء ، لا يوجد في خزائنه شيء من المال مع اتساع ملكته
ولا يزال عليه الديون للتجار .

وأما من العلماء وأعيان الناس فكثير فيهم ممن كانوا يكونون بأبي الفتح
ومن أسرار هذه الكيفية أن صاحبها إذا أراد أن يدعو في طلب حاجته
من جلب منفعة أو دفع مضرة ينبغي له أن يكثر من قوله (ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

الفصل الرابع

في لقبه وما يدل عليه ومن تلقب به من الملوك

اعلم أن لقب مولانا السلطان خلد الله ملكه : الظاهر ، وهو من الألقاب
الحسنة ، من الظهور وهو الغلبة ولا شك أن الله تعالى لما أظهره على الطائفة
الفجرة الذين أرادوا أن يفرقوا جمع العساكر الإسلامية ويشتموا شمل
المسلمين ونصره عليهم وولاه على عباده أنهم أن يلقبوه بالظاهر ، والألقاب
تنزل من السماء .

واللقب الحسن يشعر برفعة صاحبه كما تلقب أبو بكر رضي الله عنه
بالصديق لتصديقه خبر الإسراء ، وقيل لتصديقه النبي ﷺ في أول الأمر
وهو أول الناس إيماناً وأول من لقب في الإسلام ، واسمه عبد الله بن أبي

قحافة عثمان . وتلقب عمر رضى الله عنه بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل وهو أول من تسمى بأمر المؤمنين . وتلقب عثمان رضى الله عنه بذي النورين لمكانة ابنتي رسول الله ﷺ تحته ، وهما رقية وأم كلثوم رضى الله عنهما وتلقب علي بن أبي طالب رضى الله عنه بالمرتضى ، وبأبي تراب . ولم يزل الخلفاء من بني أمية يلقبونه بأمر المؤمنين ولا يذكرون غير ذلك إلى أن انتهت الخلافة إلى بني العباس رضى الله عنه .

وأولهم السفاح ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . ثم المنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم والواثق ، والمتوكل ، والمنصور ، والمستعين بالله ، والمعتز ، والمهتدي ، والمعتمد ، والمعتمد ، والمستكفي ، والمقتدر ، والقاهر ، والراضي ، والمتقي والمستكفي ، والمطيع ، والطائع . والقادر . والقائم . والمقتدي . والمستظهر والمسترشد . والراشد . والمقتفي . والمستنجد . والمستضيء . والناصر . والظاهر . والمستنصر . والمستعصم . وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق وبدئت الخلافة العباسية بالعراق بعبد الله السفاح وختمت بها بعبد الله المستعصم الذي قتله التتار بأمر هلاكو في سنة ست وخمسين وستماية . وعدتهم سبعة وثلاثون خليفة . فجملة أيامهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة وقارن دولتهم دولة الفاطميين ببلاد مصر وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في بعض الزمان . واستمرت دولتهم قريبا من ثلثمائة سنة . وأولهم المهدي . وآخرهم العاضد . وكان مقامهم بمصر مائتي سنة وثمان سنين .

وهؤلاء أيضا تلقبوا بألقاب وهم المهدي . والقائم . والمنصور . والمعتز . والعزیز . والحاكم . والظاهر . والمستنصر . والمستعلي . والأمين . والحافظ . والظافر ، والفائز . والعاضد .

وكذلك تلقب بنو بويه بألقاب مختلفة وهم معز الدولة . وعماد الدولة . وركن الدولة ؛ وكانوا أخوة واستولوا على البلاد وملكوا العراقيين بعد أن كانوا فقراء لا يملكون شيئا ثم من ملك من أولادهم

وحاشيتهم تلقب أيضا نحو ذلك . نحو عضد الدولة : وخصام الدولة . وجلال الدولة : وسيف الدولة . وحسام الدولة . وغياث الدولة . ومؤيد الدولة وناصر الدولة . وعز الدولة . وشرف الدولة . وبهاء الدولة . وسلطان الدولة ومهذب الدولة . وأسد الدولة ، وشبل الدولة ، وقوام الدولة .

وكذلك تلقب بنو أيوب باللقاب مختلفة . وهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأولاده الثلاثة الذين ملكوا بعده : وهم الملك الأفضل . والملك العزيز والملك الظاهر ثم ملك بعدهم أخو صلاح الدين الملك العادل . ثم ابنه الملك العامل . ثم ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو الذي جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية .

وكذلك تلقب سلاطين الترك وأولادهم باللقاب مختلفة فأولهم الملك المعز أيبك التركماني : تولى السلطنة يوم السبت آخر ربيع الاول من سنة ثمان وأربعين وستائة ثم تولى ابنه نور الدين علي وتلقب بالمنصور ثم خلع وتولى عوضه قطز وتلقب بالمظفر : ثم تولى بيبرس وتلقب بالظاهر ثم تولى ابنه بركة قان وتلقب بالملك السعيد ، ثم تولى أخوه سلامش وتلقب بالعادل ثم تولى قلاوون وتلقب بالمنصور ثم تولى ابنه خليل وتلقب بالاشرف . ثم تولى أخوه محمد وتلقب بالناصر . ثم خلع وتولى عوضه كتيغا وتلقب بالعادل ثم تولى لاجين وتلقب بالمنصور ثم أعيد الناصر محمد ثم خلع وتولى عوضه بيبرس الجاشنكير وتلقب بالمظفر . ثم خلع وأعيد الناصر محمد . ثم تولى ابنه أبو بكر وتلقب بالمنصور ثم تولى أخوه بكك وتلقب بالاشرف ثم تولى أخوه أحمد وتلقب بالناصر ثم تولى أخوه اسمعيل وتلقب بالصالح ثم تولى شعبان وتلقب بالكامل ثم تولى أخوه حاجي وتلقب بالمظفر . ثم تولى أخوه حسن وتلقب بالناصر ثم تولى أخوه صالح وتلقب بالصالح ثم أعيد الناصر حسن ، ثم تولى محمد بن المظفر حاجي وتلقب بالمنصور ثم تولى شعبان بن حسين بن الناصر محمد وتلقب بالاشرف ثم تولى ابنه علي وتلقب بالمنصور . ثم تولى أخوه أمير حاج وتلقب بالصالح . ثم تولى برقوق وتلقب

بالظاهر ، ثم خلع وتولى حاجي بن شعبان وتلقب بالمنصور ، ثم أعيد الظاهر
ثم تولى ابنه فرج وتلقب بالناصر ثم تولى أخوه عبد العزيز وتلقب بالمنصور
ثم أعيد الناصر فرج ، ثم تولى الخليفة المستعين بالله ، ثم تولى شيخ وتلقب
بالمؤيد ، ثم تولى ابنه أحمد وتلقب بالمظفر .

ثم تولى مولانا السلطان ططر وتلقب بالظاهر لأن الله تعالى أظهره على
أعدائه ، وأصلح به أحوال المسلمين ، وهو لقب شريف حسن عزيز ، لم
يلقب به من خلفاء بني العباس إلا خليفة واحد ، وهو الظاهر بأمر الله
أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله . وكذلك لم يلقب به من الفاطميين إلا
واحد ، وهو أبو هاشم علي الملقب بالظاهر لأعزاز دين الله بن الحاكم وتلقب
به من بني أيوب واحد وهو الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح
الدين أيوب .

وأما من سلاطين الترك الذين ملكوا الديار المصرية فلقيت به ثلاثة :
الاول السلطان الملك الظاهر بيبرس ، والثاني الملك الظاهر برقوق ،
والثالث مولانا السلطان الظاهر ططر خلد الله ملكه .

وكذلك تلقب به واحد من بني أرتق ملوك ماردين وما حواها ، وهو
الملك الظاهر مجد الدين عيسى .

وهذا لقب عزيز شريف استببطوه من قوله تعالى (هو الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) وقوله
تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)

ولاشك أن الله تعالى أظهر مولانا السلطان على أعدائه من الذين أضمروا
له المكر والسوء وأيده بنصره فأصبح ظاهراً عليهم ماله لرقابهم ولازمة
أمور المسلمين ببركة سيد المرسلين محمد المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما لفظة السلطان فأنما ظهرت في دولة بني أيوب لان أول من ملك منهم
هو السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الامير نجم الدين أيوب

ولم يكن أحد قبله يخاطب بسلطان ، وإنما كان يخاطب بلقب خاص له
أو بالامير ، وكان مثل أحمد بن طولون يلقب بالامير أحمد ، وذلك إنما كان
لقيام الخلافة ، فلما ضعفت الخلافة وتلاشى أمرها تلقب كل من ملك إقليما
بالسلطان ومعنى السلطان الحجة يعنى هو حجة الله فى الارض قال تعالى :
(سلطانا مبينا) أى حجة ظاهرة وقيل : لانه به يقام الحجج والحقوق وكل
سلطان فى القرآن معناه الحجة النيرة وقد ذكره الله فى القرآن فى اثنين
وثلاثين موضعاً

الفصل الخامس

فى كونه عاشر السلاطين الترك الافاقين

اعلم أن مولانا السلطان الملك الظاهر أيده الله بملائكته وقع فى السلطنة
عاشر السلاطين الترك الذين جلبوا إلى الديار المصرية لان أولهم السلطان
الملك المعز أيبك والثانى السلطان الملك المظفر قطز ، والثالث السلطان
الملك الظاهر بيبرس البندقدارى والرابع السلطان الملك المنصور قلاوون
الالئى والخامس السلطان الملك العادل كتبغا والسادس السلطان الملك
المنصور لاجين ، والسابع السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير والثامن
السلطان الملك الظاهر برقوق والتاسع السلطان الملك المؤيد شيخ والعاشر
مولانا السلطان الملك الظاهر ططر خلد الله ملكه

وقد ذكر بعض أهل الحساب أن السلطنة بالديار المصرية تختم بالعاشر
من الذين يملكون من الترك ، وتكون فى أيامه عدل ظاهر واقامة للشرية
وينقطع عسف الظلمة وسعى المفسدين ويستد باب الرشوة والبرطيل ويأمن
الناس على أنفسهم وعلى أولادهم وعلى أموالهم ويرخص الاسعار وتظهر
البركة فى الارزاق ويكثر الخير والبر ويتيسر تحصيل الدراهم والدنانير
وتعتدل أحوال الطرقات ، فهذه بشارة عظيمة لمولانا السلطان حيث تظهر
هذه الخيرات فى أيامه فان هذه الاشياء ما وقعت إلا فى أيام خليفة راشد
أو سلطان عادل فتمت الله تعالى على عباده باقامة مولانا السلطان خلد الله ملكه

المحصل لهذه المصالح ، إذ بقدر النعمة تكون المنة ، قال الله تعالى (ولكن الله ذو فضل على العالمين) ذكروا معناه بأقامة السلطان لأمن الناس به وتحصيل مصالحهم ففضله على الظالم كفه عن الظلم ، وعلى المظلوم نصره وأخذ حقه والمنع من أذاه فالسلطان أقدر الناس على كف الظالم ونصر المظلوم وروى (السلطان العادل ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم)

ثم اعلم أنهم تكلموا في معنى قول من قال أن السلطنة تختتم بالعاشر من الذين يملكون من الترك فقال بعضهم معناه على حقيقته : أن الذي يأتي بعد العاشر لا يكون من الترك واليه أشار محي الدين في بعض مؤلفاته وقال آخرون معنى ذلك أن السلطنة التي حقها العدل والانصاف تختتم بالعاشر ، يعني يظهر بعده الظلم والشر ويقل الأمن والانصاف فيضعف أمر السلطنة فيكون كأنها قد ختمت وذهبت .

ثم اعلم أن في وقوع مولانا السلطان خلد الله ملكه عاشر أرمز آخر خفيا لا يدرك إلا أهل الذوق من أهل العلم . وهو أن ذلك يدل على قوته في ذاته وقوته في رعيته وذلك أن مراتب الأعداد أربعة . آحاد وعشرات ومئات وألف فأعد لها مرتبة العشرات لأن ما بعدها مبني عليها وغاية الآحاد عشرات وأقواها ما يصير تلك العقود وذلك هو العاشر في رأس كل عقد لأن ما تحت كل عاشر إلى أن ينتهي إلى الواحد الحقيقي ليس له ما للعاشر على ما لا يخفى فيكون القوة للعاشر والتأثير له لكونه غاية لعقده ونهاية له فولانا السلطان ثبت الله قواعد دولته هو العاشر فالقوة له والتأثير له

وفيه نكتة أخرى وهي أنه في ابتداء الاسم تاسع ثم ثامن . وفي ظهور مسماه عاشر ، فالعشرة تغلب التسعة والثمانية فهذا ملك يغلب من سبقه من هؤلاء بالسيرة الحسنة والعدل والانصاف والاحسان إلى الناس وكل من اتصف منهم بصفة حسنة فالموجود في مولانا السلطان من ذلك الجنس أقوى منه وأحسن .

الفصل السادس

في استحقاقه السلطنة وتعيينه لها

اعلم أن منصب السلطنة منصب عظيم ؛ ومنزلة كبيرة لا يستحقها إلا من يوجد فيه شروطها ومولانا السلطان خلد الله ملكه قد احتوى على شروطها فلذلك اختاره الله وولاه على المسلمين .

الاول من الشروط أن يكون رجلا كاملا . الثاني أن يكون عاقلا ؛ الثالث أن يكون فارسا شجاعا ، الرابع أن يكون عارفا خبيراً بأحوال الناس ؛ الخامس أن يكون عنده شيء من علوم الشريعة ليقدّر به على فصل الخصومات . السادس أن يكون متصفا بالعدل . السابع أن يكون متفقدًا أحوال رعيته في كل وقت . الثامن أن يكون سخيا . التاسع أن يكون حريصا على إقامة الطاعات . العاشر أن يكون محتثا عن المعاصي وعن ما يلوث الاعراض .

فهذه الشروط كلها موجودة في مولانا السلطان لا ينكر ولا يخفى فلذلك استحق هذا المنصب الشريف بل وجب تعيينه لذلك من الوجوه المذكورة ومن وجوه أخرى : الاول أنه استحق السلطنة من كونه رجلا كاملا لانه عدى الاربعين التي هي كال الرجولية ولهذا كان الوحي لا ينزل على نبي من الانبياء عليهم السلام إلا بعد الاربعين . الثاني أنه استحق من كونه أعقل من بصدق هذا المنصب . الثالث استحق من كونه فارسا . فان فروسيته مشهورة وشجاعته معلومة لا ينكرها منكر بل يشهد بذلك من لا يريد والفضل ما شهدت به الاعداء . وقد تقدمت له أمور في موطن الحرب سيما لما كان مع الملك المؤيد رحمه الله حين يجرى عليه من الوقائع الشديدة ، وحين كان أيضا مع ولده في بلاد الروم لاجل فتح قلاعها . الرابع استحق من كونه عارفا خبيراً بأحوال الناس فانه يعرف أهل الديار المصرية والشامية والحلبية من عربها وعجمها وتركها وتركمانها وأهل أريافها بل وله معرفة بغير هؤلاء

من أهل الشرق والغرب وأهل الروم لكثرة دوره في البلاد ولكثرة اجتماعه بأهل البلاد من العلماء والفقراء والصلحاء والتجار وغيرهم ، فإن من كان يقدم إلى الديار المصرية في أيام المؤيد من سائر الطوائف كان يجتمع به ويعرفه بحاله ، ويقوم هو بمصالحه بحسب ما يليق بحال كل أحد . الخامس استحق من كون معرفته بالعلوم الشرعية ، فانه من بين الترك منفرد بذلك لقدرته على استخراج المسائل الشرعية وغيرها من الكتب بمطالعة في كتب الفقه والتفسير وغير ذلك ، وقدرته على البحث مع الفقهاء ، بل وكثير من الطلبة لا يقدر على جواب أسئلته لتعمقه بذهنه الذكي في معضلات الأشياء وهو عزيز بين طائفة جلسه ، ومثل هذا قليل الوجود

وكيف لا يستحق السلطنة وهي متعينة عليه ؟ أم كيف انحرف عن سلطنته من كان في قلبه حسد عليه ؟ ولم يفعل ذلك إلا من هو قليل الدين بل عديمه . السادس من كونه متصفاً بالعدل ، وشاهد ذلك ما صدر منه في أحكامه منذ مات الملك المؤيد ، فانه لم يصدر منه إلا كل حكم يضرب به المثل بين العباد في البلاد ، وهو ظاهر لكل أحد لا يحتاج إلى بيان .

ويدل على ذلك ما صدر منه من أحكامه في أيام إمرته في نيابته عن السلطنة وفي أيام حكمه على الماليك وغيرهم فانه لم يشتهر عنه مد كف إلى أخذ شيء ولا ميل إلى ظلم ، وكان يحزر القضايا إذا وقعت عنده أحسن من كثير من القضاة ، ويفصلها على الوجه الشرعي من غير ميل إلى أحد في ذلك وغير التفات إلى الدنيا ولو كانت شيئاً كثيراً ولقد شاهدت ذلك مرارا عديدة ، فانه كان يهرب من باب الرشوة والبرطيل كما يهرب أحد من النار . السابع من كونه متفقداً أحوال الناس ، فانه كان يفعل ذلك في إمرته ، وذا يدل على أنه يفعل أكثر من ذلك في سلطنته لكثرة قوته على ذلك وبسطة يده بخلاف الإمرة . الثامن من كونه متخيا فانه في حال إمرته ما كان يبقى شيئاً حتى كان لا يسلم من الدين ويزداد ذلك في سلطنته لسعة يده وبسطة دنياه . التاسع من كونه حريصاً على إقامة الطاعات وشاهد ذلك أن كل أحد يشهد بذلك

لكون أوقاته معمورة بتلاوة القرآن ومطالعة الكتب والمجالسة مع العلماء وأهل الخير . العاشر من كونه مجتنباً عن المعاصي التي تلوث الأعراس ، وشاهد ذلك أنا قد صحبناه من مدة مديدة ماشاهدنا منه شيئاً يشينه في دينه ولا سمعنا أحداً قال شيئاً من ذلك .

وأما الوجوه الأخرى لاستحقاقه السلطنة . فالأول منها قربه من الناس وتواضعه واختلاطه بالعلماء والفقراء ، والثاني من حيث كونه صاحب ذوق في الأمور كلها . والثالث من حيث انفراده وتعيينه لهذا المنصب لعدم من يدانيه أو يقاربه وقد علم أن الشخص إذا تعين لمنصب أو وظيفة دليمة يفترض عليه الدخول فيه فإن امتنع يأنثم فإنه إذا امتنع يدخل فيه من لا يصلح لذلك فيحصل منه فساد كبير للإسلام والمسلمين . والخامس من حيث كماله في ذاته واقبال الناس إليه عند مواجهته ، فهذه خمسة عشر وجهاً استحق بها مولانا السلطان السلطنة وتعين لها

الفصل السابع

في أوصافه الجميلة وأخلاقه الحميدة

اعلم ان مولانا السلطان خلد الله ملكه موصوف بالأوصاف الجميلة التي ذكرناها في الفصل السابق ، وبهذا رفع الله قدره . ومن جملة أوصافه الجميلة : أن أي عالم أو فقير صالح يرد إلى الديار المصرية يحسن إليه من قبل الناس كلهم من إنعام عليه وإحسان إليه من ذهب وفضة وقماش ودابة مشمعة ومنها أنه لم يزل كان يتعصب لأهل الخير والاستحقاق عند الملك المؤيد وغيره من أرباب الحكم والدينيا ، وكان سعيه في ذلك لله تعالى من غير التفات إلى الدنيا ، فإذا كان هذا شأنه قبل السلطنة مع قصور الباع ، فما ظنك به وهو سلطان الإسلام والمسلمين مع طول الباع وسعة القدرة ؟ ومنها أنه لم يزل كان يسعى في الخير عند المؤيد وغيره ، ولم يسع يوماً من الدهر بشر في حق أحد ، ولا في حق من كان يعاديه ، ولا سعى بقطع رزق أحد ، ولا

بإعدامه، فلا جرم أن الله رفع قدره ، وأجل شأنه من بين طوائف جنسه .
ومنها أنه لم يزل كان مستشار الملك المؤيد لسكون آرائه حسنة عالية ، حتى
سمعت المؤيد رحمه الله مراراً عديدة كان يقول ما عندي من يصلح للخطاب
ورد الجواب إلا فلان ، وكان يعنى به مولانا السلطان خلد الله ملكه ، وشاهد
ذلك أن كل حركة تحرك بها بعده كانت سعيدة زاد الله سعده في الدارين .
ومن أخلاقه الحميدة حلمه الواسع ، وهو مشهور به والله تعالى زينه
به لإرادته له خيراً . ويروى أن الله تعالى يحب الحليم الحبي ، ويبغض
الفاحش البذي . وقال على كرم الله وجهه : من حلم ساد ، ومن غرس شجرة
الحلم اجتنى ثمرة السلم . فلاجل ذلك جعله الله سيداً على قومه . ومنها خلقه
الحسن فلذلك أحبه من رآه أو جالسه أو سمع به ، وقال صلى الله عليه وسلم
(ان أفضل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن) وقال على كرم الله وجهه :
حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الدنيا ويزيدان في الأعمار . ومنها
نظافة لسانه عن الكلام الفاحش حتى عند احتداده ولقد صحبته سنين
عديدة ، وجالسته في مجالس كثيرة ، ولم أسمع يوماً من الدهر صدر منه
كلمة فاحشة ، وهذا أيضاً فضل من الله تعالى يختص به من يشاء من عباده
والله ذو الفضل العظيم .

الفصل الثامن

فيما ينبغي له أن يفعل وما لا ينبغي

اعلم أن السلطان ينبغي أن يكون حليماً قال الله تعالى (فاصفح الصفيح
الجميل) وترك الحلم من شدة الغضب ، ومن أطل الغضب حرم السلامة
قاله الحكيم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الحليم محبوب إلى الناس مسود في الدنيا
مرضى العقل عند الله تعالى في الآخرة . وقال لقمان عليه السلام لابنه :
يا بني ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ،

ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه . وقال الأصمعي
دفع أردشير إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً وقال إذا رأيتني قد
اشتد غضبي فادفعه الي ، وكان فيه : اسكن فلست بإله ؛ إنما أنت بشريو شك
أن يأكل بعضك بعضاً ، وتصير عن قريب للدود والتراب .

وسئل بعض الفلاسفة : ما الحلم ؟ فقال قد قيل فيه حدود ، قيل تجرع
الغيظ ؛ وقيل : تودة النفس ، وقيل : إيتاء العفو ، وقيل : كظم الغيظ ،
وقيل : قهر الغضب ، وقيل : سقوط قوة الغضب ، وقيل : إذلال الطبيعة .
وقال الحكيم : الصبر على جزع الحلم أعذب من جنى ثمر الندم .

ويبلغني أن يكون سخياً لأن أجلى قواعد المملكة السخاء ، وهو أساسها
وتاجها ، وبه يتم جمالها ، لأن بالسخاء تذلل له الرقاب ، وتخضع له الجبابرة ،
وتميل إليه الأعداء وتكثر لديه الأولياء . وأحوج الخلق إلى استعطاف
القلوب من الخاصة والعامة الملوك . وقال بعض الحكماء : أصل المحاسن
كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام ، وسخاؤها بما ملكت
على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه .

وروي أن أعرابياً قدم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال
يا أمير المؤمنين ان لي إليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها لك ، قال
فخطها على الأرض فخط فيها ، إني فقير فقال لغلामه يا قنبر اكسه حلتى
فكساه الحلة فقال الاعرابي :

كسوتني حلة تبلى محاسنها	فسوف أگسوك من حسن الشناحلا
ان نلت حسن ثنائى نلت مكرمة	ولست تبغى بما قد نلت به دلا
ان الشناء ليحيى ذكر صاحبه	كالغيث يحيى نداء السهل والجبال
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به	كل امرئ سوف يحزى بالذى فعلا

فقال علي رضي الله عنه : زده مائة دينار فأعطاه إياها فلما ولى الاعرابي
قال قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها على المسلمين لأصاحت بها من شأنهم ؟

فقال له يا قنبر لا تفعل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
اشكروا لمن أثنى عليكم فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

وينبغي أن يكون أيضاً صبوراً على المسكاره فبالصبر ينال أعلى المراتب
وأسمى المناصب . وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تسكبوا .

وقال بعض الحكماء من صبر نال المني ومن شكر حصن النعماء .
واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر .
ويروى أن الصبر نصف الإيمان . أوحى الله إلى داود عليه السلام فقال
تخلق بأخلاقى ومن أخلاقى أنا الصبور . ويروى الإيمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر .

وينبغي أن يأخذ بالعفو قال الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف) وقال
صلى الله عليه وسلم « ارحمهم ترحمهم » ورفع إلى أنوشروان أن العامة تؤنب
المملك في معاودة الصفح عن المذنبين مع متابعتهم في الذنوب فوقع : المذنبون
مرضى ونحن أطباء وليست معاودة الداء إياهم يمانعنا من معاودة العلاج لهم .
وقال المأمون إني لأجد لعفوى لذة أعظم من لذة الانتقام . وقيل لافلاطون
أى شيء من أفعال الناس يشبه أفعال الله ؟ قال الاحسان إلى الناس وفى
الانجيل : أفلاح أهل الرحمة لانهم يسترحمون .

واعلم أن العفو المحمود إنما هو عن أفعال لا حد لله تعالى فيها ، فأما حدود
الله تعالى المشروعة فلا سبيل لا حد إلى العفو عنها ، فإن المملك إذا وثقت
منه رعيته بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم وان خشيت منه العقوبة
أوحشها الذنب وان صغر حتى يضطرها ذلك إلى المعصية .

ومن الواجب على المملك تسهيل حجابيه والدخول عليه ليصل المظلوم إلى
شكاية حاله ، وذلك بأن يكون الحجاب من أهل الدين الورعين دون الفسقة
الطمعيين لان حفظ شيء للمملكة وأعونه على العدل تسهيل الاذن للرعية
فى رفع مظالمهم : بعث معاوية رضي الله عنه بعثاً فخرجوا فرجع رجل فقال
له معاوية : ألم تكن خرجت مع الناس ؟ قال بلى ولكن سمعت من رسول

الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فأحبت أن أضعه عندك مخافة أن لا تلقاني .
سمعتة يقول (أيها الناس من ولي منكم عملاً فحجب بابه عن ذوى حاجة من
المسلمين حجبهم الله أن يبلغ باب الجنة) . وروى : (مامن إمام أو وال يغلق
بابه دون ذوى الحاجة إلا أغلق الله عز وجل أبواب السماء دون حاجته)
فجعل معاوية رضى الله عنه رجلاً على حوائج الناس . وكذلك كان الخلفاء
يخطون رجلاً من أهل الدين والصلاح يرفع اليهم مظالم الرعايا .
ومن الواجب عليه إقامة الحدود على القوى والضعيف على قانون الشرع
من غير زيادة ولا نقصان .

ومن الواجب عليه نصح رعيته ، وعن النبي ﷺ (مامن عبد استرعاه
الله رعيته ثم يموت يوم يموت وهو لها غاش إلا حرم الله عليه الجنة) وعن
سمرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من استرعى رعية ولم يحطها
بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شىء) .

ومن الواجب عليه الاحسان إلى رعيته والشفقة عليهم ، كتب
ارسطوطاليس إلى الاسكندر : انك انما تملك الاجسام لا القلوب ، فاحرص
على اجتذاب قلوب رعيته بالاحسان اليها ، واعلم أن نصيح السلاطان لرعيته
وعدله فيهم يؤثر في الأرض خصباً ، وغشه وجوره يؤثر جدباً . وروى
هشام بن محمد بن السائب السكبي عن أبيه : أن كسرى خرج يوماً يتصيد
ومعه أصحابه فرأى صيداً فتبعه حتى انقطع عن أصحابه وأظلمت سحابة فأمطرت
مطاراً حال بينه وبين أصحابه . فضى لا يدرى أين يقصد ؟ فرفع له كوخ
فقصده ، وإذا عجوز بباب الكوخ ، فقال لها أنزل ؟ قالت : انزل ، فنزل
ودخل الكوخ وأدخل فرسه . وأقبل الليل فاذا ابنة العجوز قد جاءت
ومعها بقرة قد رعتها بالنهار ، فأدخلتها الكوخ وكسرى ينظر اليها ، فقامت
العجوز إلى البقرة فاحتلمت لبناً صالحاً وكسرى ينظر إليه ، فقال فى نفسه
ينبغي أن نجعل على كل بقرة خراجاً ، فهذا حلاب كثير ، وأقام بمكانه حتى
مضى أكثر الليل ، فقالت العجوز . يا فلانة قومي إلى البقرة فاحتلميها ، فقامت

إلى البقرة فوجدتها حائلا لا لبن فيها ! فقالت : يا أماء قد والله أضمر الملك لنا سوءا فقالت : وما ذاك ؟ قالت ان البقرة حائل ! فقالت لها : امكثي فان عليك ليلا ، فقال كسرى في نفسه من أين علمت ما أضمرت في نفسي ؟ أما إنني لا أفعل ذلك ، قال فمكثت ثم نادتها يابنية قومي إلى البقرة ، فقامت إليها فوجدتها حافلا ، فنادت أمها : يا أماء قد والله ذهب ما في نفس الملك من الشر ، هذه البقرة حافل قالت فاحتلبها ، فأقبل الصبح وتتبع الرجال كسرى حتى أتوه ، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه ، فأحسن إليهما وقال كيف علمت أن الملك قد أضمر شرا وأن الشر الذي أضمره قد عدل عنه ؟ قالت العجوز لنا بهذا المكان منذ كذا وكذا ما عمل فينا بعدل إلا أخصب ، وما عمل فينا بجور إلا ضاق علينا وانقطعت مواد النفع عنا .

ومن أعظم الواجبات عليه الاحتراز عن الظلم وسوء عاقبته ، وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب . وقال عليه السلام : الظلم ظلمات يوم القيامة . وفي حديث جابر عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . ان الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، ويقول . أنا الديان لا ظلم عندي ، وعزتي لا يحاورني اليوم ظلم ظالم ولو لطمه بكف ولو ضربة يد على يد ، ولأقتصن للجاء من القرناء ، ولأسألن الحجر لم نكت الحجر ؟ ولأسألن العود لم خدش صاحبه ؟

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا ينال شفاعتي ذو سلطان جائر عسوف غشوم . وعن شريح قال . سيعلم الظالمون حظ من نقصوا ؟ ان الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر . ووقع المأمون في قصة متظلم على عمرو بن مسعدة يا عمرو ، عمر نعمتك بالعدل ، فان الجور يهدمها .

والسلطان أقدر الناس على كف الظالم ونصر المظلوم ، وقد روى : السلطان والإسلام اخوان لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه ، فالإسلام أس ، والسلطان حارس ، وما لا أس له مهدم ، وما لا حارس له ضائع . وروى الترمذي

باسناده عن النبي ﷺ . أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً
 إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر . وروى
 أبو نعيم باسناده عن النبي ﷺ يوضع المقسطين يوم القيامة منابر من لؤلؤ
 بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا . وروى أيضاً أن النبي ﷺ قال .
 عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ، وجور ساعة
 في حكم أشد وأعظم من معصية ستين سنة وقد قيل : العدل أقوى جيش
 والامن أهنى عيش ، العدل ميزان الله في الارض ، من عدل في حكمه ؛
 وكف عن ظلمه ، نصره الحق ، وأطاعه الخلق ، وصفت له النعمة ، وأقبلت
 عليه الدنيا ، قتهنى بالعيش ، واستغنى عن الجيش ، وملك القلوب ، وأمن
 الحروب ، وصارت طاعته فرضاً ، ورعيته جنداً من دان تحصن ، ومن
 عدل تمكن .

أيها الملك اجعل الدين كهفك ، والعدل سيفك ، تنج من كل سوء ،
 وتظفر بكل مرجو قال الناصح :

إذا سست قوماً فاجعل العدل بينهم وبينك تأمن كل ما تتخوف
 وإن خفت من أهواء قوم تشمتاً فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا

الفصل التاسع

فيمَن يوليه على خواص نفسه وعلى الرعية

اعلم ان أعظم الامور التي يحتاج اليه السلطان أن يتفقد حال نوابه قبل أن يوليهم الاعمال وبعدها فتى رأى أنهم يقبلون الهدايا على محاباة الرعايا في ترك الواجب عليهم فيعلم أنهم قد خانوه . وفي الأمثال الهدية تعمى وتصم . ولا يولى أعماله إلا من علم دينه وأمانته ، فان ولاية الخائن والطمع والفاسق يهدم أساس الملك بأدعية المظلومين . وقال المأمون . ما فتق على فتق في مملكتي إلا وجدت سببه جور العمال .

ويجب عليه أن لا يمكن نوابه من تعذيب الرعية وظلمهم ومضرتهم بغير حق ، وأن لا يسامحهم بظلم الرعية بل يقابلهم عليه ، ومثل السلطان إذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذئب . كانت العامة تشتم الحجاج ابن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان ، وفيه قيل :

ومن يربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب ولا بد للملك من وزير صالح ، ولو كان السلطان يستغنى عن الوزير لكان أحق الناس بالاستغناء عنه كليمه موسى عليه السلام ، ولكنه قال : (واجعل لى وزيراً من أهلى) ثم ذكر حكمته فقال (اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) أسعد الملوك ملك له وزير صدق ، إن نسى ذكره ، وإن ذكره ، وإن ذكره ، وإن ذكره . والوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه . ويقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وأعظم الاشياء ضرراً على الملوك خاصة ، وعلى الناس عامة فقد الوزراء والاعوان .

وليحذر السلطان أن يولى الوزارة غير أولى الصلاح الورعين ، فبالطمع تنهد قواعد المملكة السلطان طبيب والرعية مرضى ، والوزير سفير بين الطبيب والمريض ، فإذا كذب السفير بطل التدبير . أربعة ينبغي أن تكون من أوثق ثقات الملك وأنصح نصرائه . الوزير . والطبيب . والطباخ . والساقى

وقال بزرجمهر لأنوشروان يلبيغي للملك أن يستظهر بعشرة رجال من رعيته ليتم ملكه : الأول مشير ذو جاه وحرمة يقدر أن يقول للملك أخطأت أو أصبت . والثاني وزير متصرف شهم . الثالث مستوف ضابط لجميع المعاملات الرابع مؤتمن يحفظ قلاعه وئغور ملكه . الخامس حاجب نصيح متدين . السادس كاتب حاذق أمين بليغ . السابع رسول متفرس حاضر الجواب . الثامن جليس متأدب فكاه . التاسع منجم بارز في أحكام النجوم وسير الكواكب . العاشر طبيب خبير بعلم الطب متجرب معالج .

وقال بعض الحكماء : لا يلبيغي للملك أن يشق بعشرة أصناف من الناس من عاقبه في غير جرم . ومن ناله ضرر من الملك . ومن عزله عن ولاية موروثة . ومن كان ثقة فاتهمه . ومن رفضه من غير سبب . ومن كان ذا مروءة أنزله في غير منزلته . ومن قدم عليه نظراؤه . ومن ظلمه في غير موضعه . ومن التجأ اليه من أعدائه . ومن قتل أباه أو ابنه .

ويقال شيخان يفسدان أمر الملك : استخبار من لا يصدق إذا أخبر ، واستكفاء بعض لا ينصح إذا أدبر . ومن الأمور التي يلبيغي للملك بل تجب عليه : أن لا يولي الوظائف غير أهلها ، فإن فيه فسادا ، وهو من أشراط الساعة ، وقال عليه السلام : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة . وقال الحسن بن علي المرورودي : أعوذ بالله من إمارة الصبيان ، ورئاسة النسوان ثم أنشأ يقول :

ثلاثان يعجز ذو الرياضة عنهما رأى النساء وإمارة الصبيان
أما النساء فيلهن إلى الهوى وأخو الصبا يجري بكل عنان
وكذلك لا يولي أحدا من الجهلة في الوظائف الدينية ، ولا فاسقا في أي وظيفة كانت ، ولا يستعمل أحدا من اليهود والنصارى ومن في معناهم عملا من الأعمال وإن قل حتى سياسة الدواب ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لا تستعملوا اليهود والنصارى ، فإنهم أهل رشى في دينهم ، ولا تحمل الرشى .

وكذلك لا يولى الملك أحداً بالرشى ، وقد قال عليه السلام لعن الله الراشئ والمرتشئ والرايش ، وهو الذى يمشى بينهما ويصلح وقد قالت العلماء رضى الله عنهم : كل قاض يتولى بالرشى لا تصح توليته ، ولا تنفذ عقوده ولا فسوخته وكذلك لا يولى أحداً وظيفة وفى مملكته من هو أفضل منه ، فانه ورد فى الحديث : من فعل هذا فقد خان الله ورسوله . ومن الخصال الموجبة لزوال الملك استعمال الاراذل على الاعمال الجليلة ، ومنعها الافاضل . وقيل لبعض بنى أمية ما كان سبب زوال ملككم ؟ فقال ولينا صغار العمال كبار الاعمال ، قال أمرنا إلى ما آل ! وسئل بزرجمهر ما سبب زوال ملك بنى ساسان ، بعد ما كان فيه من القوة والسلطان ، وشدة الاركان ؟ قال : لانهم قلدوا صغار الرجال كبار الاعمال . وفى الامثلة زوال الدول باصطناع السفلى . وقيل لبعض بنى أمية : ما الذى أذهب ملككم فقال تحاسد الاكفاء ، وانقطاع الاخيار . وقيل لآخر ذلك فقال نوم الغدوات وشرب العشيات .

وقال المنصور . أربعة لا يستقيم أمرى إلا بها كما لا يستقيم السرير الا بقوائمه الأربع . صاحب شرطة لا يفرق بين الشريف والوضيع فى اقامة الحدود ، وقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وصاحب خراج ينصف ويلتصف ، وصاحب بريد ينهى الاخبار على وجوهها من غير زيادة ولا نقصان .

قال أنوشروان ثمانية أشياء أساس الملك يؤتى بأربعة ويحذر عن أربعة والذى يؤتى به . الدين ، واكتفاء الامين ، وتقديم الجزم ، وامضاء العزم . والذى يحذر عنه . غش الوزير ، وسوء التدبير ، وخبث النية . وظلم الرعية وقد قالوا إذا عاشر الملك أهل العقل والادب ، وذوى رأى والحسب ، يزداد عقلا وبهاءً وجمالا ، ويكون تصرفه فى مملكته برأيهم ، فيكون ذلك سببا لثبات ملكه ، ودوام مملكته ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : مجالسة العقلاء تزيد فى الشرف . وأولى ما يجالس الملك العلماء فانهم هم العقلاء ،

وهم الذين يدلون الناس إلى الصراط المستقيم .

وقال أهل الفضل ينبغى للسلطان أن لا يخلى مجلسه من كبار العلماء ، كان سليمان بن عبد الملك وهو خليفة يأتى عطاء بن أبى رباح ، وكان الرشيد يأتى مالك بن أنس رضى الله عنه ، وكان الأمين والمأمون يمشيان إلى العلماء وينبغى للسلطان أن يجعل للعلماء منه مجلساً خاصاً ، إذا كرونه فيه بالعلم ويذكرونه آلاء الله عليه ، وإحسانه إليه . والمراد من العلماء : الفقهاء الذين فقهوا عن الله أمره ونهيه ، وهم أهل الفقه والحديث وما يتعلق بهما من العلوم الشرعية . ومما يعين السلطان على طلب العلماء ومجالستهم : اقتناؤه الكتب الشرعية كالفقه وتفسير القرآن والحديث وما يتعلق بها من النحو واللغة والتصريف وشرح غريب اللغة ، هذه الكتب هى النافعة ، وإذا نظر فى شيء من ذلك وأشكل عليه شيء احتاج إلى سؤال العلماء عن ذلك فيجالسهم بسببه وليحذر السلطان من النظر فى كتب الفلسفة والنجوم ، فان مصنفى هذه الكتب زنادقة ، هم أعداء الرسل ، لأن علومهم منافية لعلوم المرسلين . وقال بعض الحكماء إذا كان الملك عالماً ، وكان الحاكم عفيفاً ، وصاحب الشرطة عادلاً ، دام الملك ، وإلا فسد ودر .

وقد قيل الإسلام فسطاط ، والامام عمود ، والعلماء أوتاده ، فاذا مالت الأوتاد لم يثبت عمود ولا فسطاط ! ويجب عليه قبول النصيح من العلماء والعمل بمقتضاه ، لما فى مخالفة العلماء الناصحين من الخطر وينبغى أن لا يجالس أهل الفسق وأهل الاستهزاء بالناس ، لأن مجلس سوء يذهب بهاءه ويستخف بجرمته ، ويوقعه فى المهالك ، ولذلك قيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً . ويروى : مثل المجلس الصالح مثل الدارى ان لم يجدهك من عطره ، عبق بك من ريحه ، ومثل المجلس سوء مثل صاحب الكبر ، ان لم يحرقك بناره علق بك من دخانه .

وفى كتاب كلىة : اجتنب عشرة من الاصحاب : الكفور للنعمة ، والغادر

بالعهد، والذي لا يؤمن بالشواب والعقاب في الآخرة. والمفرط في الحرص
والتهمة والغضب، ومن يسخطه اليسير لغير علة، ومن لا يرضيه شيء. وان
كان كثيرا، وذو المسكر الداهي الغامض مكره، واللهمج بالزنا والخمر والميسر
والسوء الظن المتلون والقليل الحياء.

ومن الواجبات عليه أن لا يسمع كلام أحد في غيره. قال الله تعالى :
(ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم) وروى مسلم لا يدخل الجنة
قات أي نمام. والسعاية في الناس إلى السلطان مهلكة، فكم من دم أراقه
سعى ساع ! وكم من مال وحريم استبيح بنميمة باغ إياك والسعاة فانهم أعداء
عقلك، ولصوص عدلك، ويفرقون بين قولك وفعلك. وفي المثل السائر:
من أطاع الواشي ضيع الصديق.

ومن الواجبات عليه أن يعلم أن دوام نعمته موقوف على الشكر، وأصل
الشكر تقوى الله تعالى، فمن أراد دوام العافية والسلامة فليتق الله فان المعاصي
تزيل النعم. روى عن وهب رضى الله عنه أن مملكا شابا قال إني لا أجد
للملك لذة، فلا أدرى أيجد الناس الملك كذلك أم أنا وجدته من بينهم ؟
فقال : بل الملك كذلك فقال : ما الذي يقيمه ؟ فقل له : يقيمه أن تطيع
الله فلا تعصيه، فدعا ناسا من خيار من في مملكته فقال لهم كونوا بحضرتي
وفي مجلسي، فما رأيتم أنه طاعة الله فروني أعمل به، وما رأيتم أنه معصية
فازجروني عنه أزدجر، ففعل ذلك هو وهم فدام مملكه أربع مائة سنة مطيعا
ومن الواجبات على الملك أن يسلك سبيل الخلفاء الراشدين في تفريق
الأموال، لا سبيل المتقدمين من الملوك الذين كانوا يجمعون المال من الحلال
والحرام، ويكتنزونها ولا يصرفونها في مصارفها، فبذلك استحقوا في
الدنيا اسم الظلم، وفي الآخرة العذاب. وسيرة نبيينا ﷺ والخلفاء
الراشدين بعده صرفها في وجوهها ولا يدخرونها، مات رسول الله ﷺ
ودرعه مرهونة في صاع من شعير. ولم يكن للنبي ﷺ بيت مال ولا
للخلفاء الراشدين بعده، وإنما كانت الأموال التي جبيت من حلها في زمن

أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم تقسم بين المسلمين ، وربما كان يفضل منها شيء فيجعل في بيت ، فمن حضر واحتاج أعطى منه حتى لا يبقى منه درهم . وروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشرف على بيت المال فرآه ملآن ، فقال يا بيضاء يا حمراء غري غري ثم نادى في الناس وفرق جميع ما فيه وأمر بكنسها ورشها ، ثم دخل فصلى فيه ركعتين . وكثير من ملوك الإسلام ساروا في الأموال نحو هذه السيرة وقال بعض الملوك لابنه : يا بني لا تجمع الأموال لتقوى بها على الأعداء فإن جمعها تقوية لهم ، لأنه إذا جمع المال أضعف الرجال ، فيطمع فيه الصديق ويثب عليه العدو . ولما تمكن يوسف الصديق عليه السلام من ملك مصر كان يجمع ويأكل خبز الشعير ، ففيل له . تجوع ويهلك خزائن الأرض ؟ قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين . ويحكى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل على امرأته فقال يا فاطمة عندك درهم أشتري به عبداً ؟ قالت لا قال فعندك ثمنه يعني الفلوس ، قالت لا . فقالت . أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا على ثمنه تشتري به عبداً ! قال هذا أهون علينا من معالجة الأغلال في نار جهنم .

والواجب على الملك أن يقتدى بسيرة هؤلاء حتى يشكر في الدنيا ويرحم في الآخرة . وكان الرشيد في خلافته يحج سنة ويغزو سنة . وحكى عنه أنه كان يصلي كل يوم مائة ركعة إلا أن يعرض له مرض ، وكان يتصدق من صلب ماله بألف درهم وكان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج في كل سنة ثلثائة بالنفقة السابعة والكسوة الظاهرة .

ومن الواجبات على الملك أن يجتهد في حكمه ، ويتأني ولا يستعجل في فصل الأمر ، فإن أدى اجتهاده إلى الحق حكم به ، وإن أشكل عليه رفع أمره إلى عالم لينظر فيه . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ . إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران . وإن اجتهد فأخطأ فله أجر . ولا ينبغي للسلطان أن يترفع عن طلب العلم فليس أحد أرفع من

النبي ﷺ وقد قال . رب زدني علما وأولى الناس بطلب العلم الملوك والشيوخ
 لان الخطأ منهم أقبح . وليس أحوج إلى مجالسة العلماء ومطالعة كتب الفقهاء
 وسيرة الحكماء من السلطان لانه قد نصب نفسه لممارسة أخلاق الناس وفصل
 الخصومات بينهم . وكل ذلك يحتاج إلى علم بارع وبصر ثاقب ، والخلق
 كلهم مستمدون من السلطان الاخلاق السنية والطرائق العلية مفتقرون اليه
 في الاحكام ، وقطع التشاجر وفصل الخصام ، فاذا كان كذلك فهو أحوج
 إلى العلوم من غيره .

ويبلغى له أن يجالس الصالحين فانه اذا جالسهم يرق قلبه ، ويجهد في أمور
 الآخرة ، ويحصل له الاعتبار كما روى ان الإسكندر مر بمدينة قد ملكها
 ملوك سبعة وبادوا فقال هل بقي من نسل الملوك الذين ملكوا هذه المدينة
 أحد ؟ فقالوا رجل يكون في المقابر فدعاه فقال ما دعاك إلى لزوم
 المقابر ؟ قال ان أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء .
 قال فهل لك أن تتبعني فأحيي بك شرف آبائك ان كانت لك همة قال :
 إن همتي لعظيمة ان كان عندك بغيتي ، قال وما بغيتك ؟ قال حياة لاموت
 فيها ، وشباب لاهرم معه ، وغنى لا يتبعه فقر ، وسرور لا يغيره مكروه
 قال لا أقدر على هذا قال فانفذ لشأنك وخلي أطلب بغيتي بمن عنده همتي
 قال الاسكندر هذا أحكم من رأيت . ثم اعلم أن جملة ما تجمع في بيت المال
 أربعة أنواع الأول زكاة السوائم والعشور وما يأخذه العاشر من المسلمين
 الذين يملكون عليه من التجار ومصرف هذا النوع ما ذكره الله تعالى في
 كتابه الكريم بقوله : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) . الآية وهم
 أصناف ثمانية قد سقط منهم المولفة قلوبهم لأن الله تعالى أعز الاسلام وأغنى
 عنهم ، والنوع الثاني . ما يؤخذ من خمس الغنائم والمعادن ومصرف هذا
 النوع الأصناف التي ذكرها الله تعالى في كتابه بقوله : (واعلموا انما غنمتم من
 شيء فان لله خمسته) . الآية فمهم الله ذكر للتبرك وسهم الرسول ﷺ سقط
 بموته وسهم ذوى القربى ساقط عندنا وهي قرابة رسول الله ﷺ فيصرف

اليوم إلى ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقال بعضهم .
 يصرف سهم الله تعالى إلى عمارة الكعبة ، وسهم رسول الله ﷺ يصرف
 إلى الخليفة لانه قد قام مقامه ، وسهم ذوى القربى إلى قرابة .

النوع الثالث ما يؤخذ مما أخرجته الارض وجزية الرؤس وما يأخذه
 العاشر من المستأمن من أهل الحرب ومن تجار أهل الذمة ، ومصرف هذا
 النوع عمارة الرباطات والقناطر والجسور وسد الشغور وكرى الانهار
 العظام التى لا ملك لاحد فيها ، كجیحون ودجلة والفرات ، ويصرف إلى
 أرزاق القضاة وأرزاق الولاة والمحتمسين والمفتين والمعلمين وأرزاق المقاتلة
 ويصرف أيضا إلى رصد الطريق فى دار الاسلام عن اللصوص وقطاع
 الطريق وحاصله ان هذا النوع من المال يصرف إلى عمارة الدين وإصلاح
 دار الاسلام والمسلمين .

النوع الرابع ما يؤخذ من تركات الموتى الذين يموتون ولم يتركوا وارثا
 أو ميت ترك زوجا أو زوجة فمصرف هذا النوع نفقة المرضى فى أدويتهم
 وعلاجهم وهم فقراء . وإلى اكفان الموتى الذين لا مال لهم وإلى نفقة اللقيط
 وعقل جانيته ، وإلى نفقة من هو عاجز عن الكسب وليس له قريب يقضى
 عليه بنفقة ، وما أشبه ذلك . والواجب على السلطان اىصال الحقوق إلى أربابها
 ولا يحبسها عنهم من غير تفضيل ، ويسوى بينهم من غير ميل ، فان قصر
 فى ذلك اثم واستحق اثم الظلم ، وما سوى ذلك من الأموال التى يؤخذ
 بعقوبة أو جباية كالمكوس التى لم تسكن فى زمن أحد من الخلفاء الراشدين
 وغيرهم من الملوك العادلين بل العشارون سوغوا للملوك أخذها لياًكلوا
 ادوال الناس بالباطل فحرام سحت . فمن علم حرمة وأخذه فقد شاق الله
 ورسوله ، ومن اعتقد اباحته كفر ، وهذا النوع فى الديار المصرية كثير ،
 تولى غالب ذلك القبط ، ويحسنون ذلك للملوك ويأكلونه ولا يحصل للملوك
 من ذلك غير الوزر والاثم ، ويستحقون بذلك اسم الظلم فى الدنيا والعذاب

في الآخرة ، ولا سيما ما يفعلونه في المواريث ، فانهم يتهبون تركة الميت
 نهبا ، ويحرمون الورثة ، ولا يصل من ذلك شيء لببيت المال . فالواجب على
 السلطان أن ينظر في هذه الأشياء ، ويولي في كل جهة من كان مشهوراً بالثقة
 والأمانة والدين لينظر فيه بالحق ، ولا سيما في المواريث فانه يجري فيها أمور
 لا يرضى بها أهل دار الحرب فضلا عن المسلمين في دار الاسلام ، فاذا قصر
 السلطان عن النظر في ذلك عاد الاثم عليه . وقال النبي ﷺ بنس الزاد
 إلى المعاد جور العباد . وقيل : أول حرف كتب في أول ألواح التوراة
 ويل للظلمة . وقال الشعالي : إذا كان الملك جائراً فسلام على سلامة الرعية !

الفصل العاشر

في تاريخ سلطنته وما يدل عليه ذلك

اعلم أن الحكمة الالهية والقدرة الربانية اقتضت أن يظهر في الوجود
 في حال الفترة وظهور أهل الشر والفساد وتصدى أهل العناد لفساد أحوال
 العباد والبلاد سلطان من أهل السن الكامل ، والعقل الوافر ، والدين الظاهر
 والعلم الباهر ، المائل إلى الحق والصواب ، والعدل عن طريق الباطل
 والارتياح ، العامل بالسنة والكتاب ، لطفاً من الله تعالى على العباد ورحمة
 على أهل البلاد ، وكان كنزاً مدخراً في الكتاب ، ونوراً مستوراً في الحجاب
 فأظهره الله تعالى من فضله الباهر ، ولطفه الزاهر ، حتى ألهم عبده بأن
 لقبوه بالملك الظاهر ، أظهره الله عز وجل لإقامة دينه القويم ، وأظهر صراطه
 المستقيم ، ورفع المظالم التي استحكمت بين الناس ، وإفشاء العدل الذي وقع
 فيه اليأس ، ولتحكم شرائع هذا الدين ، وإجرائها على سنن الخلفاء الراشدين
 من السلاطين العادلين .

ولما انحمد نار الظلم من الطريقة الرفيعة ، ونادى مؤذن العدل . جاء الحق
 بمنعته المنيع ، قام هذا الملك لإقامة أركان الشريعة ، عازماً لآحياء موات

الدين ، وحاز ما يحفظ وضبط متين ، ناويا في ذلك بأحسن النيات ، في تحصيل
فعل الخيرات متضرعا إلى الله وداعيا ، وإلى سبيل الهدى راجعا وساعيا
وكان ذلك بمجمع العلماء والقضاة وخليفة المسلمين ، وسائر الأمراء وعساكر
الموحدين ، واستدعائهم منه قبول هذا المنصب الشريف : والركوب على
هذا المركب المنيف ، وتكرار منهم في ذلك السؤال والخطاب حتى أجاب
بعد زمان بأحسن الجواب . وكانت الاجابة عليه واجبة للزوم لتعيينه لذلك
بالخصوص والعموم وكان ذلك بدمشق المحروسة التي هي بهجة الشام ومقر
الخلفاء والملوك الأعلام ودار الأنبياء والأولياء . ومقام العلماء والأصفياء
مدينة ليس لها نظير في الربع المسكون . مزينة بجامع لم تر مثله العيون . في
نهار الجمعة سيد الأيام بالآثار الواردة من سيد الأنام الذي ساعاته أفضل
الساعات وأوقاته أكرم الاوقات التاسع والعشرين من شعبان المكرم بين
المسلمين من سنة أربع وعشرين وثمان مائة من هجرة سيد المرسلين^(١) فعند

(١) ونقل السخاوي في الضوء عن ابن حجر أنه قال في الظاهر ططر : (إنه
كان يحب العلماء ويعظمهم مع حسن الخلق والمكارم الزائدة والعطاء الواسع)
ثم قال ذكر لي أنه قبل أن يتسلطن في ليلة المولد النبوي سنة ٨٢٤ هـ قد ضاقت
يده لكثرة مصروفه وقلة متحصله حتى ان شخصا قدم له ما كولا ، فأراد أن
يكافئه عليه فلم يجد في حاصله خمسة دنانير وما وجد أحدا من خواصه يقرضها
له بل كلهم يحلف أنه لا يقدر عليها إلا واحدا منهم فلم يكن بين هذا وبين
استيلائه (نيابة) على المملكة بأسرها وعلى جميع ما في الخزانة السلطانية التي
جمعها المؤيد سوى أسبوع . قال وأمرني أن أكتب هذه الواقعة في التاريخ فانها
أعجوبة . ونقل عن ابن خطيب الناصرية أنه قال : (إنه كان مائلا للعدل وأهل
العلم يحبهم ويكرمهم ويتكلم في مسائل من الفقه على مذهب أبي حنيفة . وكان
صاحي حين كان أميرا) ونقل عن آخر : (أنه كان عارفا فطنا عفيفا عن
المنكرات مائلا للعدل يحب الفقهاء وأهل العلم ويحبهم وينادي بالحق ويشترك
فيه وله فهم وذوق وبراعة في حفظ الشعر باللغة التركية والمسام بذلك في الجملة
مع إقدام وجرأة وطيش وخفة وكرم مفرط وملاحة شكل وكبر الحية سوداء

ذلك ارتفعت الدعوات وضجت الاصوات من كل الجهات فكان الناس
 حيلئذ كالجميع تلبى في عرفات ، شكراً لما بعث الله تعالى إليهم بملك ينظر
 فيهم بالعدل والانصاف ، ويرفع من بينهم الظلم والاعتساف ، وتباشر واعلى
 هذا الخير العظيم والفضل الجسيم فأصبحوا وهم شاكرون بالفرح والسرور
 وداعون لهذا الملك بالبقاء والحبور ، ووصل الخبر بذلك إلى القاهرة يوم
 الأحد التاسع من رمضان المعظم ، وفرح الناس بهذا الخبر المفخم ، ودقت
 الكوسات للبشائر ، وفرحت الأمراء والعساكر ، وأصبح أهل الديار
 المصرية في فرح وسرور ، وتزين الأسواق والدور وشكروا الله على هذه
 النعمة والآيادي التي عمت كل حاضر وبادى ، وارتفعت الاصوات
 بالدعاء في كل نادى ، وسكبوا في ذلك اليوم عبرات الفرح ، لما أذهب الله
 عنهم الهم والترح ، ودعوا الله تعالى بطول البقاء لهذا الملك وطول مدته ،
 واهلاك أعدائه وحساده بسطوته ؛ إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

وفي انعقاد السلطنة له في دمشق المحروسة بشارة عظيمة ، وهي أنها
 كانت محل انعقاد الخلافة العامة ، فإن الخلافة العامة بعد أبي بكر وعمر
 وعثمان رضى الله عنهم لم تنعقد إلا في الشام ، وهي انعقادها لأمر المؤمنين
 معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما ؛ وحكم معاوية في دار الخلافة في

وقصر جداً وبجة في صوته بشعة) . وكان صارماً في محاربة البغاة قاسياً عليهم
 وكان من صغار مماليك الظاهر برقوق ، ولذا كان المقرئ منحرفاً عنه على
 عادته في رجال برقوق حيث كان برقوق أبعد عن الحكم بالبدر العيني كما أشار
 إلى ذلك أبو المحاسن ، تنقل في أعمال الدولة إلى أن تسلطن في أواخر شعبان
 سنة ٨٢٤ هـ وتوفي يوم الأحد رابع ذى الحجة من تلك السنة ودفن بجوار
 الليث بن سعد رضى الله عنه عن نحو خمس وخمسين سنة كما في بدائع الزهور .
 تغمدته الله بغفرانه . وهذا كلام الآخرين في الظاهر ططر الذي ألف البدر العيني
 هذا الكتاب في سيرته (ز) .

دمشق أربعين سنة ، منها وهو أمير في عشرين سنة ، ومنها وهو خليفة
 في عشرين سنة ، وكذلك سلطنة مولانا السلطان خلد الله ملكه في دمشق
 أول سلطنة الاتراك ، فخرجوا من الله تعالى أن تكون توليته مثل تولية أمير
 المؤمنين معاوية رضي الله عنه في طول المدة وشمول الولاية سائر
 البلاد ، وقد ثبت في التواريخ أن ولاية بني أمية عمت سائر أقاليم
 المسلمين وبلادها ، بخلاف بني العباس فإن ولايتهم ما شملت بلاد الغرب
 ولذلك خرجت عن ولايتهم الديار المصرية والشامية والحجازية
 وغير ذلك في أيام العبيديين ، وفي سلطنته في الشام سر عظيم ، لا يدركه
 إلا أهل الذوق . ولم يتول أحد من سلاطين الترك الذين ملكوا
 الديار المصرية بعد بني أيوب وهو في الشام غير مولانا السلطان خلد الله
 ملكه . وذلك لما أراد الله له من الخير الواسع واليمن والبركة وطول المدة
 إن شاء الله تعالى .

وكانت توليته في ساعة أجمع عليها أهل الحساب أنها تدل على طول أيام
 مولانا السلطان^(١) خلد الله ملكه مع عافية وأمن وسرور . وعلى ظهور العدل
 بين الناس وانخمد الظلم والعسف ببركة وجود هذا الملك ثبت الله أركان دولته
 وأيام سطوته وعزته . وحرسه بعينه التي لا تنام . وكلاؤه في كنفه الذي
 لا يرام . إنه على ذلك قدير . وبالإجابة جدير .

انتهى ما في الاصل المحفوظ في مكتبة خسرو باشا وكان ختام طبعه
 في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ هـ . والحمد لله أولا وآخرا
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

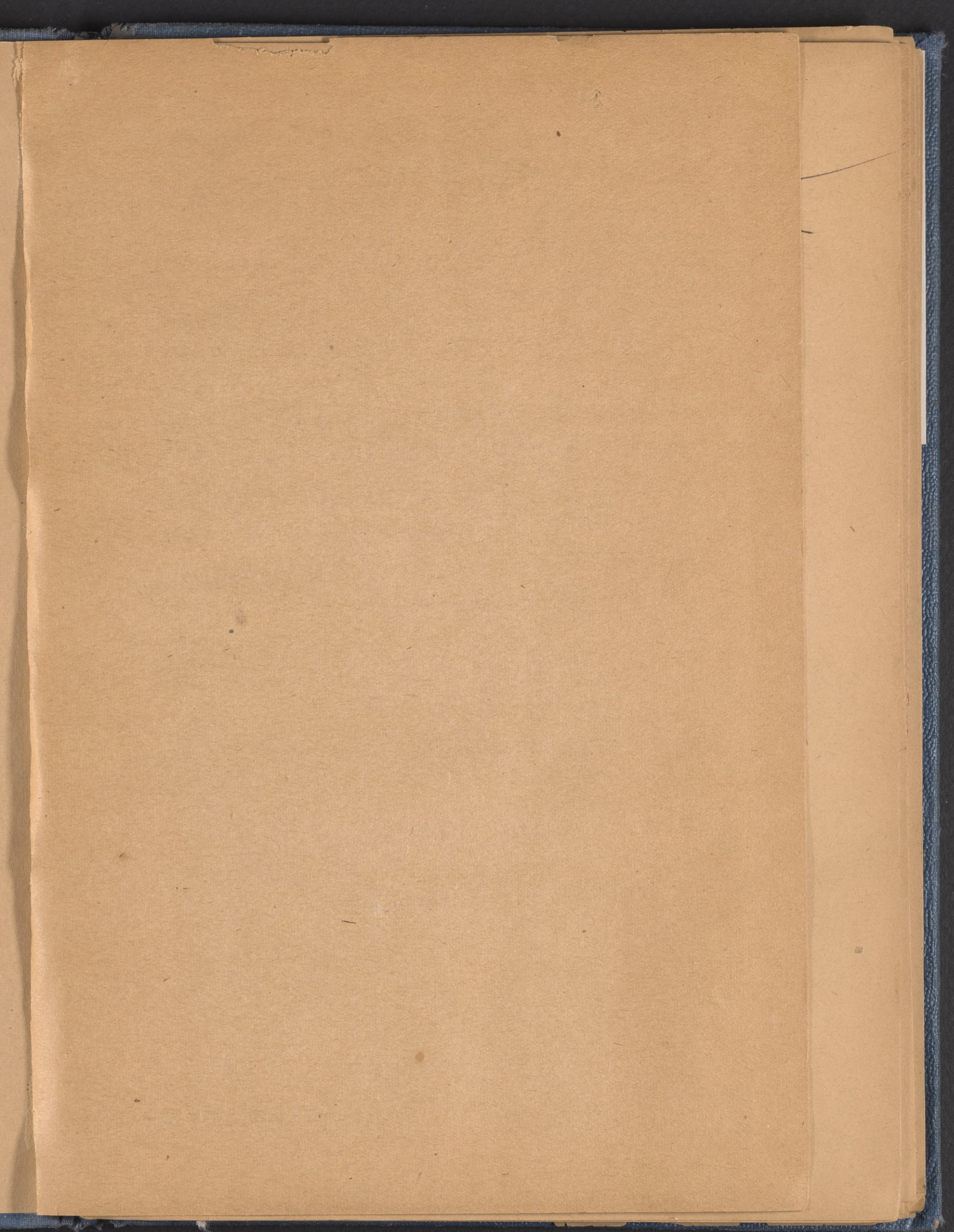
(١) خابت الظنون ولم تزد مدة سلطنته على ثلاثة أشهر إلا أياما قلائل (ز)

فهرس الروض الزاهر

- ص
- ٢ — كلمة فضيلة الشيخ الكوثري عن البدر العيني ، وعن تأليفه لهذه السيرة .
- ٧ — مطلع الروض الزاهر ، وفصوله العشرة .
- ٨ — في جنس الملك الظاهر ططر ، ونسبه ، وقبائل الترك والجر كس ، وجدول أنساب البشر .
- ١٥ — في إسم هذا الملك ، وما تدل عليه حروفه في علم الحروف .
- ١٨ — في كنيته أبي الفتح ، ودلالاتها . ومن يشاركه في هذه الكنية بين ملوك الاسلام .
- ٢٠ — في لقبه الظاهر ، ودلالاته ومن يشاركه في هذا اللقب ، وألقاب ملوك الاسلام .
- ٢٤ — في كونه عاشر السلاطين الترك الذين حضروا مصر من الآفاق ، وما في ذلك من الأسرار .
- ٢٦ — في عظم شأن السلطنة . والشروط الضرورية لمن يتولاها . واستجماع هذا الملك لتلك الشروط .
- ٢٨ — في الأوصاف الجميلة . والاخلاق الحميدة التي تحلى بها هذا الملك .
- ٢٩ — فيما ينبغي له أن يفعله وما لا ينبغي .
- ٣٥ — في سيرته فيمن يوليه على خواص نفسه . وعلى الرعية . وخبرته الواسعة في رجال شتى الأقاليم .
- ٤٣ — في تاريخ سلطنته . واغتياب الأمة بها لما لمسوا فيه من الكفاية البالغة والخير العميم . وقصر مدة حكمه .
- ٤٦ — منتهى الكتاب .

تصويب

١١ — ١٠ : لكاد الاسلام أن يكون



C. 332441
M. 332434

DT
96
A86
1950

al-'Aynii, Badr al-Diin M
Rawd al-zaahir fii siirat
al-Malik al-Zaahir Tatar
DT 96.3 T3 A86x 1950

5 DEC 1995



main

0 0 0 0 0 3 3 2 4 4 1
DT 96.3 T3 A86x 1950

DT
96.3
T3
AB6x
1950